

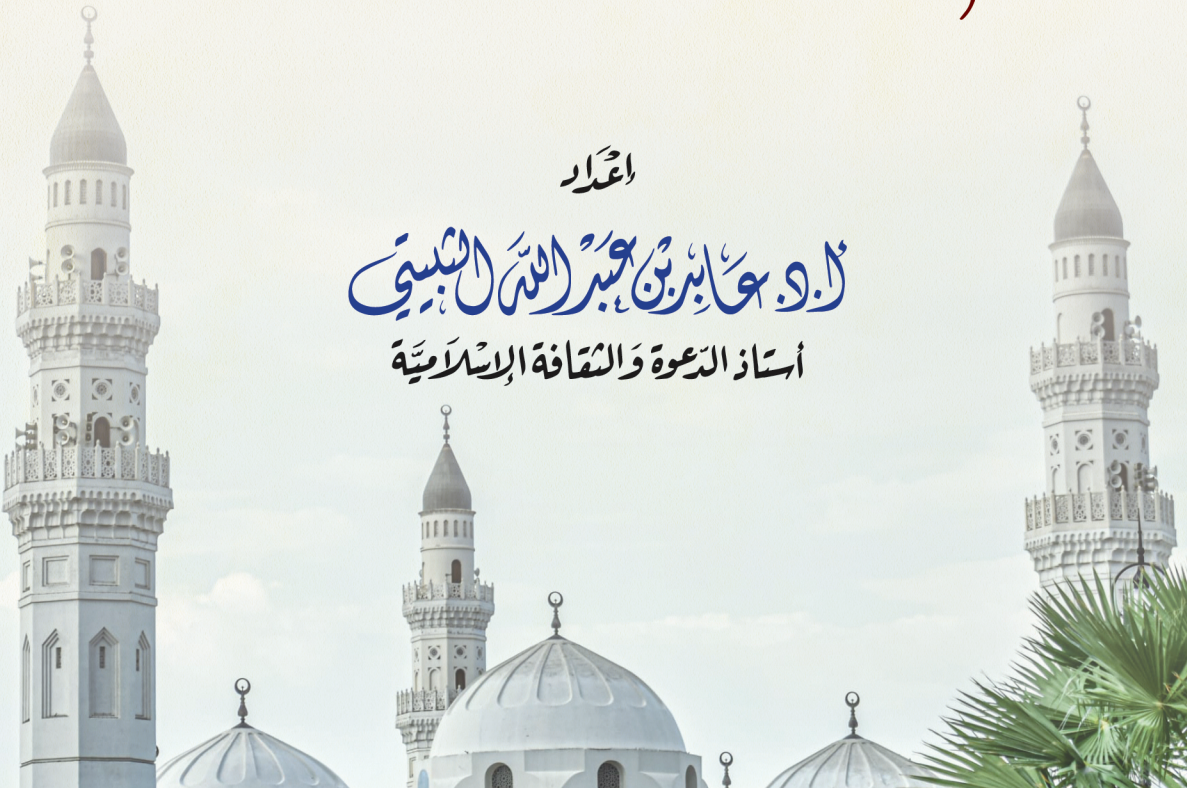
التَّحْفَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ

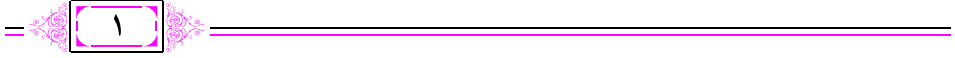
الأخلاق

إعداد

أ.د. حبيب بن عبد الله السبيعي

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية





الثقافة الإسلامية (١)
(الأخلاق)

ح) عابد عبد الله الشبتي، ١٤٤٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الثقافة الإسلامية (١): الأخلاق / عابد عبد الله معيوض الشبتي - الطائف،

١٤٤٢هـ.

الشبتي، عابد بن عبد الله بن معيوض

١٦٨ ص، ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٤-١٣٤٦-٣-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- الأخلاق الإسلامية أ.العنوان

ديوي: ٢٣٩ ١٤٤٠/١٠٦١٠

رقم الإيداع: ١٤٤٠/١٠٦١٠

ردمك: ٤-١٣٤٦-٣-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى: ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

حقوق التأليف والنشر والترجمة لهذا الكتاب غير محفوظة ولا تنطبق

عليه مواد نظام حقوق التأليف والنشر شريطة الإبقاء على اسمه

واسم مؤلفه وعدم التغيير في مضمونه

الثقافة الإسلامية (١)

الأخلاق

إعداد

د. عابد بن عبد الله الثبيتي

أستاذ الثقافة الإسلامية المشارك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد، وآله وصحبه
ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين. **أما بعد:**

لقد أولت السياسة العامة للتعليم في المملكة العربية السعودية الثقافة
الإسلامية عناية كبيرة حين جعلتها مقررًا إلزاميًا في جميع سنوات التعليم
العالي، كما تم التأكيد على هذا في عدد من مؤتمرات العالم الإسلامي،
وكانت المملكة العربية السعودية ملتزمة بذلك في سياساتها ومقررات التعليم
فيها بشقيه: العام، والعالي.

ومعلوم أن العالم شهد في السنوات الأخيرة انفتاحًا على بعضه أكثر من
ذي قبل، حيث زالت كثير من الحدود الفكرية والثقافية؛ بل والاجتماعية
أيضًا، فاحتاج المسلمون إلى بيان نظرة الإسلام في القضايا المعاصرة،
ومساهمته في طرح الحلول للمشكلات التي تواجه العالم بروح الانفتاح
المنضبط، الذي يدمج الفرد المسلم في العالم من حوله بثقافة راسخة يستطيع
من خلالها الإفادة والاستفادة فيما لا يُخل بثوابته الدينية والتزاماته الوطنية،
وقيمه الأخلاقية والاجتماعية والسلوكية، وهذا ما ينبغي أن تقوم به مقررات
الثقافة الإسلامية.

وبناءً على ذلك؛ فقد تمَّ إعداد هذا المقرر ليكون لبنة في البناء الفكري
والثقافي لدى الطلاب، تُحقِّق من خلاله السياسة العامة للتعليم السعودي،
وتراعى فيه الأصالة والمعاصرة، حيث يرسِّخ القيم الإسلامية ويستفيد من
المعطيات العلمية الحديثة ما أمكن، ليبرز الثقافة الإسلامية كواحدة من
الثقافات العالمية المتفاعلة مع ما حولها من الثقافات.

وقد جاء الكتاب في ثلاثة أبواب:

الأول: التمهيد: فيه التعريف بالثقافة الإسلامية، والتعريف العام بدين الإسلام وبيان أبرز خصائصه.

والباب الثاني: فعن مكونات الإسلام: أصول العقيدة الإسلامية، وأصول الأحكام الشرعية الإسلامية، والقيم والأخلاق والآداب الإسلامية، والشخصية الإسلامية.

وإني لأرجو من قارئ هذا الكتاب ومدرّسه ألا يبخل عليّ بالنصح والتوجيه، والتنبية على ما يعترني هذا الكتاب من الخطأ أو القصور الذي ينبغي استكمالها في طبعات لاحقة بإذن الله.

المؤلف

البريد الإلكتروني

abeb1429@gmail.com

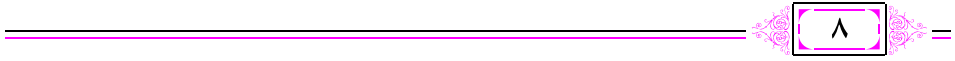
جوال ٥٠٤٧٠٥٧٧٨

الباب الأول

التمهيد

الوحدة الأولى: مدخل للثقافة الإسلامية.

الوحدة الثانية: التعريف بالإسلام، وخصائصه.



الوحدة الأولى

مدخل للثقافة الإسلامية

قبل الخوض في مباحث هذا الكتاب لا بد من بيان مجموعة من المقدمات الضرورية حول الثقافة الإسلامية، من حيث: التعريف والأهداف والمصادر ونحوها، وبيانها على النحو الآتي:

أولاً: تعريف الثقافة الإسلامية:

تتكوّن الثقافة الإسلامية من كلمتين: الثقافة، والإسلامية. وقبل بيان معناها مركبة يلزم بيان معنى كل منهما منفردة.
الثقافة في اللغة: الحذق والفطنة^(١).

وفي الاصطلاح: العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها^(٢).

الإسلامية: اسم من الفعل الرباعي: أسلم، وهو بمعنى: انقاد. ودين الإسلام: الدين الذي جاء به الأنبياء جميعاً من نوح إلى محمد عليهم الصلاة والسلام. ثم اشتهر إطلاقه على الدين الذي جاء به محمد ﷺ على وجه الخصوص^(٣).

وأما الثقافة الإسلامية باعتبارها علماً على علم معين فهي: العلم بمنهاج الإسلام الشمولي في القيم، والنظم، والفكر، ونقد التراث الإنساني فيها^(٤).

(١) ينظر: الصحاح (٢٠/٥)، والقاموس المحيط (١/١٠٢٧).

(٢) المعجم الوسيط (١/٩٨).

(٣) المصدر نفسه (١/٤٤٦).

(٤) ينظر: ورقة عمل الدكتور مفرح القوسي بعنوان: تعريف الثقافة الإسلامية، والتي قدمها لندوة: مقررات الثقافة الإسلامية بين واقعها والمتغيرات، التي نظمتها كلية التربية بجامعة الملك فيصل بالإحساء في المدة من ٢٧ - ٢٨/١٠/١٤٢٦هـ.

شرح التعريف:

العلم: ضد الجهل، وهو إدراك الأمر على وجهه الصحيح بأدلته. **منهاج الإسلام:** الطريق الواضح البين الذي أنزله الله تعالى في كتابه، وبينه النبي ﷺ في سنته، وفهمه السلف بناءً على معاصرتهم تنزيل الوحي وفهمهم للغة العرب.

الشمولي: الشامل لجميع حاجات الناس الدينية والدنيوية.

القيم: جمع قيمة، وهي كل ما تقوم به الحياة قيماً صحيحاً من المعتقدات والأحكام والتصورات عن الله والكون والحياة وغيرها.

النظم: جمع نظام، وهي في الإسلام: الأحكام الشرعية التي تبين للإنسان منهج حياته وتعامله في الجوانب الحياتية التي يحتاجها؛ كأحكام الاقتصاد والسياسة والاجتماع والقضاء والأخلاق، وسائر الآداب والأحكام المتعلقة بالمخالطة والمعاشرة.

الفكر: عملية عقلية تقوم على ترتيب الأمور في الذهن حتى يتوصل بها إلى المطلوب.

وعمليات الفكر الإنساني على نوعين: إما إنتاج أفكار جديدة، أو نقد نتاج الأفكار القائمة وبيان مواطن الصواب فيها والخطأ بناءً على الأدلة العقلية والنقلية.

أهداف الثقافة الإسلامية:

إن للثقافة الإسلامية أهدافاً، منها:

١ - التعريف العام بالإسلام عقيدة وشرعة، بعيداً عن تعقيدات العلوم النظرية والمناهج الفلسفية والطرق الكلامية.

٢ - بناء التصورات الصحيحة لدى المسلمين عن الله والكون والإنسان والحياة وغيرها.

٣ - كشف مغالطات المخالفين، وبيان شبههم حول الإسلام، والرد عليها بالأدلة من الشرع والعقل.

- ٤ - نقد الثقافات الأخرى في عقائدها ومناهجها، ومقاصدها ووسائلها، ومقارنتها بما جاء به الإسلام ليظهر سموه على غيره من الملل والنحل.
- ٥ - دراسة واقع المسلمين العقدي والتشريعي، وتقديم الحلول المناسبة لإصلاح الخلل، وبذل الجهد في معالجة جوانب الخطأ والقصور.
- ٦ - رصد الغزو الفكري والثقافي الموجه على المسلمين، وكشف مخاطره، وتحذير المسلمين من كل ما يخالف معتقداتهم وتصوراتهم وشريعتهم وأخلاقهم.

مصادر الثقافة الإسلامية:

إن للثقافة الإسلامية مصادر تميزها عن غيرها من الثقافات الماضية والحاضرة، ويمكن تقسيم مصادرها إلى قسمين رئيسين:

الأول: المصادر الأصلية: وهي:

١ - القرآن الكريم:

فهو النور المنزل من الله تعالى، الذي تكفل بحفظه إلى قيام الساعة؛ ليكون نبراساً تستضيء به الأجيال المتعاقبة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

والقرآن الكريم أصل الأحكام الشرعية، وإليه ترجع بقية الأدلة، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم إذا عرضت لهم مسألة دينية أو دنيوية نظروا لحكمها في كتاب الله، فإن لم يجدوا نظروا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن لم يجدوا جمعوا الناس واستشاروهم، فإن اجتمع رأيهم على أمر لم يخالفوه.

فالقرآن الكريم هو الذي ميّز أمة الإسلام عن سائر الأمم، وكوّن للمسلمين شخصية متميزة عن سائر الشخصيات: فهم متميزون في عقيدتهم التي يوحدون الله تعالى فيها، وفي أحكامهم التي يتعبدون بها لله تعالى، وفي أخلاقهم وسلوكهم التي هي جزء من دينهم الذي يدينون به لربهم تعالى.

٢ - السُّنَّة النبوية:

السُّنَّة في اللغة: الطريقة والسيره حسنة كانت أو قبيحة .
وفي الاصطلاح: ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو
صفة خلقية أو خلقية .

والسُّنَّة النبوية هي الوحي الثاني الذي أوتيته النبي ﷺ حيث قال: «أَلَا
إِنِّي أُوتِيْتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ»^(١) .

وقد أمر الله بطاعة رسوله ﷺ مع الأمر بطاعته سبحانه فقال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾^(٩٢) [المائدة: ٩٢] .

وجعل إتياع المؤمنين للنبي ﷺ أمانة صدق إيمانهم ودليل محبتهم
لرهبهم ﷺ، والتي تجلب محبة الله لهم كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ
فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٣١) آل عمران: ٣١،
وحذر تعالى من مخالفته ﷺ فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ
فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٦٣) [النور: ٦٣] .

وما دامت السُّنَّة بهذه المنزلة فهي جديرة أن تكون مصدرًا أصيلاً من
مصادر الثقافة الإسلامية .

وإن من الانحراف أن يقتصر الناس على القرآن الكريم دون السُّنَّة
المطهرة، التي هي مؤسسة لأحكام لم ترد في القرآن الكريم، أو مبينة لمجمل
فيه، أو شارحة لموجزه، وقد حذر النبي ﷺ من هذا فقال: «لَا الْفَيْنَ أَحَدَكُمُ
مُّتَكِنًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لَا
نَذْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ»^(٢) .

٣ - الإجماع:

وهو: اتفاق المجتهدين من أمة محمد ﷺ بعد موته على حكم
شرعي .

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (١٧١٧٤)، وهو حديث صحيح .

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٤٦٠٥)، وصححه الألباني .

وإنَّ الله تعالى قد منع اجتماع كلمة أهل العلم من أمة محمد ﷺ على باطل؛ بل جعل اجتماعهم لا يتم إلا على حقٍّ يريده ويرضاه، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ، وَيَدُّ اللَّهُ عَلَى الْجَمَاعَةِ»^(١). فالمسائل التي انعقد الإجماع عليها من علماء الأمة اكتسبت قطعية الحكم، وصارت ثابتة يمكن الأخذ بها والاعتماد عليها عند بيان الإسلام والدفاع عنه؛ كالإجماع على أنَّ دين الأنبياء واحد لا يختلف وإنما الاختلاف في الشرائع العملية، والإجماع على جمع القرآن، وكتابة المصحف، ونحوها من الإجماعات المؤثرة في مسيرة الثقافة الإسلامية^(٢).

الثاني: المصادر التبعية:

ذكر فيما سبق المصادر الأصلية للثقافة الإسلامية، وهنا نذكر أهم وأبرز المصادر التبعية للثقافة الإسلامية، وهي على النحو الآتي:

١ - السيرة النبوية:

إنَّ سيرة النبي ﷺ وأحداث حياته هي التطبيق العملي لما جاء به من النور والهدى والحق من ربه ﷻ، وما أشكل فهمه من نصوص الوحي وجدنا تطبيقه عملياً في سيرة النبي ﷺ ومواقفه؛ لذا فهي جديرة بالقراءة والفقه والفهم والمدارسة؛ لتكوّن لدى المسلم إراثاً ثقافياً شرعياً صحيحاً.

٢ - سير السلف الصالح والآثار المنقولة عنهم:

السلف الصالح: هم المتبعون للنبي ﷺ قولاً وعملاً واعتقاداً من أهل القرون المفضلة، الذين قال فيهم النبي ﷺ لما سئل: أيّ الناس خير؟ قال: «قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَبْدُرُ - تسبق - شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَتَبْدُرُ يَمِينَهُ شَهَادَتُهُ»^(٣).

(١) أخرجه الترمذي برقم (٣٩٥٠)، وصححه الألباني.

(٢) لم نذكر القياس مصدرًا من مصادر الثقافة الإسلامية؛ لأنّه وسيلة للاجتهد وأداة لاستنباط الأحكام الشرعية، وهذا عمل الفقيه وليس عمل المختص في الثقافة الإسلامية.

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٥٣٣).

قال النووي رحمته الله في بيان المقصود بهذه القرون الثلاثة: «الصحيح: أن قرنه رحمته الله: الصحابة، والثاني: التابعون، والثالث: تابعوهم»^(١).

فسير السلف الصالح، وكذلك أقوالهم لها قيمة كبيرة في بناء الثقافة الإسلامية، وما ذلك إلا لأنهم عاصروا النبي رحمته الله، وشهدوا التنزيل، ولم تزل أحكام الإسلام ومفاهيمه في عصورهم غضة طرية صافية لم تخالطها الثقافات ولم تغيرها علوم الأمم الأخرى ومناهجها، بالإضافة إلى ما حباهم الله إياه من رقة القلوب، وصدق الإتياع، وإدراك للسان العربي الذي نزل به الوحي.

ومن جاء بعدهم من التابعين فقد أدرك من فضلهم وصفاء منهجهم شيئاً كثيراً، وورد معهم موردهم وسلك مسلكهم في فهم الدين والعمل به.

وأبته هنا إلى أنه لا ينبغي الأخذ بروايات السير وما ينقل عن السلف الصالح بمعزل عن الأصلين السابقين: الكتاب والسنة؛ بل لا بد من محاكمة تلك الروايات والسير إلى الثابت في الكتاب والسنة؛ فإن وافقته فهي حق وإن خالفته تركت، إذ لا قيمة لها ولا مَعْوَل عليها.

٣ - اللغة العربية:

لغة العرب: هي اللسان الذي نزل به الوحي من الله تعالى ونطق به النبي رحمته الله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]، ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: ١٢].

ولما كان المصدران الرئيسان: الكتاب والسنة قد نزلا بهذه اللغة، فلا سبيل لفهمهما حق الفهم إلا بإتقان اللسان العربي، وفهم دلالات ألفاظه وجوانب فصاحته وبلاغته، لذا صارت هذه اللغة أحد مصادر الثقافة الإسلامية.

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/٨٥).

موقف الثقافة الإسلامية من الثقافات الأخرى

إنَّ الثقافة في أي أمة من الأمم لها أربعة جوانب: المعتقدات والقيم، والعادات والأخلاق، والفكر والنظر، والإنتاج والتطور الدنيوي.

والحق أنَّ هذه الجوانب الأربعة بينها تفاعل وترابط، فلا يمكن أن يعزل جانب منها عن بقية الجوانب عزلاً كلياً؛ بل لا بد من التأثير فيما بينها، ولكن يقع التفاوت في مدى التأثير قوة وضعفاً.

والثقافة الإسلامية لن تعيش بمعزل عن الثقافات الأخرى للأمم التي تعيش معها على أرض واحدة، ولها معها تداخل وتقاطع في المصالح الدنيوية والمشتركات الإنسانية؛ ولكنها تستطيع التعامل معها تعاملًا متوازنًا يعصمها من التأثير السلبي بها، ويحفظها من الذوبان فيها، وسأبيِّن كيفية التعامل مع كل مكون من تلك المكونات السابق ذكرها بما يلي:

أولاً: جانب المعتقدات والقيم:

إنَّ عند الثقافة الإسلامية من صحة العقيدة وسمو القيم ما يجعلها شامة بين الأمم؛ لأن عقيدتها مأخوذة من وحي معصوم، فهي بهذا لا تحتاج إلى ما عند الأمم من العقائد والقيم.

ومما يبيِّن هذا أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ مرة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم صحيفة أصابها من بعض أهل الكتاب - اليهود أو النصارى - فغضب صلى الله عليه وآله وسلم وقال: «أُمَّتَهُوْكَونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بِيضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقِّ فَتُكذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»^(١).

ثانياً: جانب العادات والأخلاق:

من المعلوم أن لكل أمة عاداتها وأخلاقها، والعادات والأخلاق متأثرة

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (١٥١٥٦)، وحسنه الألباني في إرواء الغليل برقم (١٥٨٩).

بالعقيدة، وبيِّن هذا أنَّ عادات الطعام والشراب والملبس والمسكن متأثرة تأثيراً كبيراً بالعقيدة؛ فالضيافة في الإسلام من الدين، ومع هذا لا يجوز تقديم المحرمات فيها؛ كالخمور ولحوم الميتة والخنزير؛ لأنَّ ما يعتقدُه المسلم من حرمتها يمنعه من تقديمها لضيوفه، أمَّا غير المسلمين فيقدمونها لضيوفهم ولا يرون بذلك بأساً؛ لأنَّ عقيدتهم لا تمنعها.

بل تعدى الأمر العادات في الطعام واللباس إلى بناء المساكن تأثراً بالاعتقاد، فقد جرت عادة المسلمين عند بناء بيوتهم أن يجعلوها ساترة للنساء عن الرجال الأجانب حال التزاور، وهذا نابع عن اعتقادهم بوجوب الفصل بين الرجال والنساء ولو كان ذلك في المساجد التي يأتي إليها الناس بقصد العبادة، وأما الكفار فعاداتهم ضد ذلك؛ لأنهم لا يجدون حرماً في العلاقات بين الجنسين واتخاذ الأصدقاء والأحداً؛ لذا فبيوتهم يكشف بعضها على بعض، وهذا النوع من العادات لا يجوز للمسلمين أخذه من الثقافات الأخرى؛ إذ هو من نتاج اعتقادهم المنحرف.

وأما عاداتهم التي ليس لها ارتباط ظاهر بعقائدهم ولكنها تعتبر من السمات الظاهرة لحياتهم؛ كعادات الأكل والشرب واللباس ونحوها من سمّتهم الظاهر فهي أيضاً من المحرمات على المسلمين؛ لأنَّ فعلها يعتبر تشبهاً بهم، والتشبه محرم، لما ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»^(١).

وقد بيّن ابن تيمية رحمته الله الحكمة من منع المسلمين من التشبه بغيرهم من اليهود والنصارى في عاداتهم ومظاهر حياتهم فقال: «إن الصراط المستقيم هو أمور باطنة في القلب: من اعتقادات، وإرادات، وغير ذلك، وأمور ظاهرة: من أقوال، أو أفعال، قد تكون عبادات، وقد تكون أيضاً عادات في الطعام واللباس، والنكاح والمسكن، والاجتماع والافتراق، والسفر والإقامة، والركوب وغير ذلك.

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٠٣١)، وقال الألباني: حسن صحيح.

وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ارتباط ومناسبة، فإنَّ ما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أمورًا ظاهرة، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال، يوجب للقلب شعورًا وأحوالًا.

وقد بعث الله محمدًا ﷺ بالحكمة التي هي سُنَّته، وهي الشريعة والمنهاج الذي شرعه له، فكان من هذه الحكمة أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يباين سبيل المغضوب عليهم والضالين، فأمر بمخالفتهم في الهدى الظاهر، وإن لم يظهر لكثير من الخلق في ذلك مفسدة لأُمور:

منها: أنَّ المشاركة في الهدى الظاهر تورث تناسبًا وتشاكلاً بين المتشابهين يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس، فإنَّ اللابس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة - مثلاً - يجد من نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه متقاضياً لذلك، إلا أن يمنعه مانع.

ومنها: أنَّ المخالفة في الهدى الظاهر توجب مباينة ومفارقة توجب الانقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضلال، والانعطاف على أهل الهدى والرضوان، وتحقق ما قطع الله من الموالاتة بين جنده المفلحين وأعدائه الخاسرين.

وكلما كان القلب أتم حياة وأعرف بحقائق الإسلام كان إحساسه بمفارقة اليهود والنصارى باطنًا وظاهرًا أتم، وبعده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشد.

ومنها: أن مشاركة الهدى الظاهر، توجب الاختلاط الظاهر، حتى يرتفع التميز ظاهرًا بين المهديين المرضيين وبين المغضوب عليهم والضالين، إلى غير ذلك من الأسباب الحكيمية.

هذا إذا لم يكن ذلك الهدى الظاهر إلا مباحًا محضًا لو تجرد عن مشابھتهم، فأما إن كان من موجبات كفرهم كان شعبة من شعب الكفر، فموافقتهم فيه موافقة في نوع من أنواع معاصيهم. فهذا أصل ينبغي أن يتفطن له^(١).

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٩٢ - ٩٤).

ثالثاً: جانب الفكر والنظر:

ينقسم النتاج الفكري في الثقافات الأخرى إلى قسمين:

الأول: ما كان متأثراً بعقيدة منحرفة أو باطلة، أو مخالفاً للثابت من عقيدة المسلمين؛ كنظرية النشوء والتطور - الداروينية - والنظريات التي تقدر الطبيعة وتجعلها خالقة موجدة، ومهلكة مفسية، فهذا القسم يحرم على المسلمين قبوله والتسليم به.

الثاني: ما كان نتيجة التجربة أو التأمل والتفكير ولم يعارض الثابت من عقيدتنا؛ كبعض المناهج البحثية، والنظريات التي تحاول تفسير تصرفات وانفعالات النفس البشرية، وكذلك العلوم الطبية والفلكية ونحوها مما لا يناقض المعلوم الثابت في ديننا فلا حرج من الاستفادة منه؛ لأنه من المشترك الإنساني الذي لا يختص به قوم دون قوم.

رابعاً: جانب الإنتاج والتطور الدنيوي:

الإنتاج الصناعي والتقني عند الأمم الأخرى أيسر الجوانب وأقلها خطورة، فلا حرج على المسلم من الاستفادة مما ينتجونه من تقنية وأجهزة ووسائل مواصلات وبرامج تواصل بين الناس، مع الحذر مما لا يجوز تصنيعه؛ كالأسلحة المدمرة التي تقتل كل ذي روح من غير تمييز بين مذنب وبريء، إذ لا يجوز في ثقافتنا القتل العام ولا الإهلاك العام للحرث والنسل. وكذلك الحذر من استعمال تلك المنتجات فيما لا يجوز استعمالها فيه؛ كنشر الفواحش والإشاعات والكذب ونحوها.

وخلاصة القول: إنَّ موقف الثقافة الإسلامية من الثقافات الأخرى موقف إيجابي يتفاعل معها فيما فيه نفع للبشرية شريطة ألا يخالف أصول ديننا وثوابت عقيدتنا وشريعتنا، أما إن خالفها أو كان مما يضر بالناس فإننا لا نقبل به فضلاً عن أن نشارك فيه.

يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في بيان الموقف من الثقافات الأخرى، وخاصة الغربية: إن الاستقراء التام القطعي دلَّ على أنَّ الحضارة

الغربية المذكورة تشتمل على نافع وضار: أما النافع منها فهو من الناحية المادية، وتقدمها في جميع الميادين المادية أوضح من أن أبينه، وما تضمنته من المنافع للإنسان أعظم مما كان يدخل تحت التصور، فقد خدمت الإنسان خدمات هائلة من حيث إنه جسد حيواني، وأما الضار منها فهو إهمالها بالكلية للناحية التي هي رأس كل خير، ولا خير ألبتة في الدنيا بدونها، وهي التربة الروحية للإنسان وتهذيب أخلاقه، وذلك لا يكون إلا بنور الوحي السماوي الذي يوضح للإنسان طريق السعادة، ويرسم له الخطط الحكيمة في كل ميادين الحياة الدنيا والآخرة، ويجعله على صلة بربه في كل أوقاته.

فالحضارة الغربية غنية بأنواع المنافع من الناحية الأولى، مفلسة إفلاسًا كليًا من الناحية الثانية.

والتقسيم الصحيح يحصر الموقف من الحضارة الغربية في أربعة أقسام لا خامس لها، حصرًا عقليًا لا شك فيه:

الأول: ترك الحضارة المذكورة نافعها وضارها.

الثاني: أخذها كلها ضارها ونافعها.

الثالث: أخذ ضارها وترك نافعها.

الرابع: أخذ نافعها وترك ضارها.

فنرجع بالسبر الصحيح إلى هذه الأقسام الأربعة، فنجد ثلاثة منها باطلة بلا شك، وواحدًا صحيحًا بلا شك.

أما الثلاثة الباطلة: **فالأول منها:** تركها كلها، ووجه بطلانه واضح؛ لأنَّ عدم الاشتغال بالتقدم المادي يؤدي إلى الضعف الدائم، والتواكل والتكاسل، ويخالف الأمر السماوي في قوله ﷺ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ، عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

القسم الثاني من الأقسام الباطلة: أخذها؛ لأنَّ ما فيها من الانحطاط الخلقي وضياع الروحية والمثل العليا للإنسانية أوضح من أن أبينه، ويكفي في

ذلك ما فيها من التمرد على نظام السماء، وعدم طاعة خالق هذا الكون ﷻ :
﴿إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ عَلَى اللَّهِ تَقَرُّونَ﴾ [يونس: ٥٩]، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ
شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذُنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

والقسم الثالث من الأقسام الباطلة: هو أخذ الضار وترك النافع، ولا شك أن هذا لا يفعله من له أقل تمييز، فتعيّنت صحة **القسم الرابع** بالتقسيم والسبر الصحيح، وهو أخذ النافع وترك الضار.

وهكذا كان ﷻ يفعل، فقد انتفع بحفر الخندق في غزوة الأحزاب، مع أن ذلك خطة عسكرية كانت للفرس، أخبره بها سلمان فأخذ بها، ولم يمنعه من ذلك أن أصلها للكفار، وقد انتفع ﷻ بدلالة ابن الأريقط الدؤلي له في سفر الهجرة على الطريق، مع أنه كافر.

فاتضح من هذا الدليل أن الموقف الطبيعي للإسلام والمسلمين من الحضارة الغربية هو أن يجتهدوا في تحصيل ما أنتجته من النواحي المادية، ويحذروا مما جنته من التمرد على خالق الكون ﷻ؛ فتصلح لهم الدنيا والآخرة. والمؤسف أن أغلبهم يعكسون القضية، فيأخذون منها الانحطاط الخلقي، والانسلاخ من الدين، والتباعد من طاعة خالق الكون، ولا يحصلون على نتيجة مما فيها من النفع المادي، فخسروا الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

وما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل وقد عرف في تاريخ النبي ﷺ وأصحابه أنهم كانوا يسعون في التقدم في جميع الميادين مع المحافظة على طاعة خالق السموات والأرض ﷻ^(١).

وقد قرّر ابن تيمية **رحمته الله** هذا قديماً فقال: إن ذكر ما لا يتعلق بالدين مثل مسائل الطب والحساب المحض ما غايته الانتفاع بآثار الكفار والمنافقين في أمور الدنيا فهذا جائز؛ لأن كتبهم لم يكتبوها لمعين من المسلمين حتى تدخل فيها الخيانة، وليس هناك حاجة إلى أحد منهم بالخيانة؛ بل هو مجرد انتفاع

(١) ينظر: أضواء البيان (٤/٤٧٦ - ٤٨٠) مختصراً.

بآثارهم كالملابس والمساكن والمزارع والسلاح ونحو ذلك»^(١).

ثم إنه يجب على المسلمين أن يكونوا مبادرين إلى تقديم ثقافتهم الإسلامية للعالم، حتى يسهموا في توجيه الفكر والتأثير في العلوم، وطرح الحلول للمشكلات التي تعصف بالعالم على تنوعها: من نفسية، وسياسية، واقتصادية، وأخلاقية... لتسهم في إنقاذ البشرية من الانكباب على المادة والغفلة عن الروح، مما جعل البشرية في العالم تعيش أزمات نفسية، وانحرافات أخلاقية، وجرائم شهوانية، وانحلال خلقي، وفشو الأمراض المهلكة، وكثرة حالات الانتحار هرباً من الواقع الروحي اليأس.

إنَّ العالم اليوم لا ينقصه تطور تقني ولا تقدم تكنولوجي؛ إنما ينقصه إيمان يعمر القلوب الخاوية بعقيدة صحيحة صافية تقوده إلى سعادته التي يلهث بحثاً عنها وما وجدها، ولن يجدها ما دام في غيه وبعده وانحرافه واتباعه لشهواته، وليس ذلك إلا في الثقافة الإسلامية.

ومن تأمل الواقع وجد أنَّ الثقافة الإسلامية مؤثرة في الثقافات الأخرى مع ضعف المسلمين اليوم، وعدم امتثال كثير منهم لمبادئها وقيمها. ومن ذلك: أنَّ المنصفين من مفكري الغرب يقرون بأن ما تعيشه أوروبا اليوم من تطور إنما كانت بدايته علوم المسلمين في الأندلس قبل سقوطها، ثم طوروها وفتح الله عليهم فيها؛ حتى وصلوا إلى هذا التقدم الدنيوي المشهود للعيان؛ أمَّا في أمور الآخرة فهم بحاجة إلى من يقودهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم وسعادتهم، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

وفي علم الألسن نجد أنَّ اللغة العربية - لغة الثقافة الإسلامية - قد أثرت في كثير من لغات العالم الحية، بحيث أدخلت كلمات من العربية في تلك اللغات، وصارت تستعمل فيها استعمال الكلمات الأصلية فيها.

وإنَّ من آخر ما شهد لتأثير الثقافة الإسلامية في الثقافات الأخرى ما

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٤/١٠٥) بتصرف.

نادى به جمع من علماء الاقتصاد في العالم، وفي أمريكا على وجه الخصوص بعد الانهيار المالي الكبير لأعظم بنوك أمريكا قبل أعوام مما حدا بهم إلى المطالبة بأخذ النظام المصرفي الإسلامي وإحلاله محل النظام الربوي القائم في الغرب.



الوحدة الثانية

التعريف بالإسلام، وخصائصه

الإسلام دين الفطرة:

اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى خلق آدم ﷺ ليكون خليفة في الأرض، وقد فطره وذريته على توحيده، وجعل الإقرار بربوبيته مركزاً في نفوسهم حيث قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢].

ثم اقتضت حكمته إنزاله إلى الأرض، فأنزله مؤمناً موحداً لله تعالى، ولم يزل على التوحيد هو وذريته حتى مات، وبقيت ذريته على التوحيد الخالص عشرة قرون ثم انحرفوا، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين»^(١).

والدين الذي أرسل الله به كل الرسل هو: الإسلام، الذي لا يقبل الله تعالى من أحد ديناً سواه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وكلما انحرفت أمة من الأمم عن الدين الحق أرسل الله تعالى إليهم رسولاً يدعوهم إلى مراجعة دينهم، ومن لم يستجب لداعي الحق كانت عاقبته الهلاك، كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولًا كَذَّبُوهُ

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک برقم (٤٠٠٦) وقال: حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعَدًا لِّقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ [المؤمنون: ٤٤].

تعريف الإسلام:

الإسلام في اللغة: الانقياد^(١).

وفي الشرح: الاستسلام لله تعالى بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك وأهله.

وهذا التعريف يتضمن ثلاثة أمور:

الأول: أن يستسلم العبد لله تعالى استسلامًا تامًّا اختياريًّا، ولا يكون ذلك إلا بتحقيق التوحيد في القلب، وانقياد القلب والجوارح لله بإفراده بما يختص به في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وحقوقه على عباده.

فالمراد بالاستسلام هنا: الاستسلام الاختياري من العبد، فهو الذي يؤجر عليه، أمَّا الاستسلام القدري الاضطراري فليس عليه ثواب ولا يعد طاعة؛ إذ كل من في الكون مستسلم له سبحانه استسلامًا اضطراريًّا، قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

الثاني: الانقياد لأمره ونهيه، فيفعل العبد المأمور به ويجتنب المحظور امتثالًا لأمر الله ﷻ.

الثالث: البراءة من الشرك وأهله، وذلك بنبذ كل معبود من دون الله، والحذر من الوقوع فيما يصاد التوحيد، ففي الحديث القدسي: «أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشَّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ»^(٢).

ومن البراءة من الشرك البراءة من المشركين، وعدم توليهم، كما قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧].

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة (ص ١٤٤٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٥).

قال ابن سعدي رحمته الله: «نهى الله عباده المؤمنين عن اتخاذ أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن سائر الكفار أولياء يحبونهم ويتولونهم ويبدون لهم أسرار المؤمنين، ويعاونونهم على بعض أمورهم التي تضر الإسلام والمسلمين، وأن ما معهم من الإيمان يوجب عليهم ترك موالاتهم، ويحثهم على معاداتهم»^(١).

ولما اختار الله تعالى للبشرية ديناً واحداً ارتضاه - وهو الإسلام - جعله شاملاً لكل ما يحتاجه الناس في أمور دينهم ودنياهم، مبيّناً لهم ما فيه صلاحهم في معاشهم ومعادهم.

خصائص الإسلام:

الخصائص: جمع خصيصة، وهي تتضمن معنى الانفراد^(٢). قال الراغب: «التخصيص والاختصاص والخصوصية والتخصيص: تفرّد بعض الشيء بما لا يشاركه فيه الجملة، وذلك خلاف العموم»^(٣).

وخصائص الإسلام هي: الميزات والصفات التي ينفرد بها دين الإسلام عن غيره من الديانات والمناهج الأخرى.

وإنّ للإسلام خصائص ينفرد بها، ومميزات تميزه عن سائر الأديان،

منها:

١ - الربانية:

إنّ المصدرين الأصليين للإسلام هما: الكتاب والسنة، وهما منزلان من الله تعالى وحيّاً على نبيه صلى الله عليه وآله، قال الله تعالى: ﴿الرَّكَابُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، وقال أبو ذر رضي الله عنه: «تركنا رسول الله صلى الله عليه وآله وما طائر يقرب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكرنا منه علماً»، ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرَّبُ مِنَ الْجَنَّةِ وَبَاعِدُ مِنَ النَّارِ إِلَّا

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص ٢٣٦).

(٢) ينظر: لسان العرب (٧/٢٥).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن (ص ٢٨٤).

وَقَدْ بَيَّنَّ لَكُمْ^(١).

فكل أحكام الإسلام العقدية والشرعية والأخلاق والآداب منزلة من الله تعالى. وليس المقصود أنه ﷺ بين جميع جزئيات المسائل وتفصيل الأحكام؛ بل المقصود أنه أرسى بالوحي قواعد من شأنها بناء مفاهيم شرعية صحيحة في أذهان المسلمين للحكم على كل ما يستجد في الحياة ليكتشفوا بها مواطن الزلل ومواقع الخطأ والصواب.

٢ - العالمية:

لقد أخذ الإسلام عالميته من عالمية الرسالة التي بعث بها النبي ﷺ، إذ لم يبعث لقومه خاصة ولا للعرب فقط؛ بل بعث للثقلين الإنس والجن، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]. وأخبر الله تعالى عن إيمان الجن وإتباعهم له ﷺ فقال: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرَكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن: ١، ٢].

من هنا؛ فإن الإسلام دين عالمي يُدعى له الجميع، فليس دينًا قوميًا لعرق دون عرق، ولا لأمة دون أمة، أو لأهل بلد دون سائر البلدان؛ بل هو دين كل من يؤمن به أيًا كان عرقه ولونه وبلده. وأمّا انقسام الناس لشعوب وقبائل وبلدان إنما هو للتعارف وعمارة الأرض والقيام بواجب الخلافة فيها، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

٣ - الشمول:

إن أحكام الإسلام جاءت شاملة لكل ما يضمن للإنسان صلاح دينه وديناه وآخرته، فتدعوه لتصحيح عقيدته وما ينطوي عليه فؤاده من أمور الغيب، وتخط له طريقًا صحيحًا لممارسة شعائره التعبدية، وتبين له المسلك الصحيح

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم (١٦٤٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

في تعاملاته الحياتية، وتهذب أخلاقه وسلوكه بأداب وأخلاق سامية مرتبطة بما يعتقده من الحق.

وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يعلن للملأ أن كل شؤون حياته نابعة عما يعتقده ويؤمن به فقال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]؛ أي: قل لهم مبيّنًا أن هذا الدين الذي جئتكم به من عند الله يأمرني أن أجعل عبادتي وذبحي وحياتي كلها؛ بل وموتي لله ﷻ ووفقًا لمراده مني لا أصرف منها شيئًا لغيره، ولا أستثني منها شيئًا ليخرج عن مراده.

وقد بيّنت الوقائع والحوادث التي استجدت في حياة الناس على مر التاريخ أن الإسلام يتضمن حكم الله تعالى في كل ما أستجد منها مما لم ينص على حكمها في الكتاب والسنة، وهذا مظهر من مظاهر شموله لكل ما يصلح الإنسان ويقوده إلى سعادة في الدنيا والآخرة.

٤ - التوازن:

التوازن: الاعتدال وعدم تغليب جانب على جانب.

إنّ مما تميز به الإسلام أنّه وازن بين مطالب الروح من الإيمان واليقين والتوكل والاطمئنان، وبين مطالب الجسد في أخذ نصيبه من شهواته التي فطره الله على الميل إليها، لذا حرم الزنا حفظًا لحق الله تعالى وحماية للدين وصيانة لأعراض الناس، وأباح النكاح؛ ليكون طريقًا شرعيًا يحقق للجسد شهوته التي فطر عليها. وحرّم التعامل بالربا وأكل أموال الناس بالباطل والرشوة، وأباح أنواع الكسب المباح بالعمل والتجارة وغيرها مما يحقق للإنسان إشباع رغبته في التملك.

كما وازن بين الحقوق والواجبات، فأوجب على الإنسان تكاليف يقوم بها لغيره: لله، وللرسول ﷺ، وللإسلام، وللوالدين والقرابة والمجتمع، وجعل له حقوقًا يجب أن ينالها؛ وإلا كان مستهلكًا منسيًا، تضيع حقوقه، ويُستهلك في القيام بواجباته.

وهكذا؛ إذا تأملنا سائر الأحكام الشرعية وجدناها على هذا المنوال في التوازن الذي لا يُغلب جانباً على جانب، ولا يراعي مصلحة طرف على حساب طرف أو أطراف أخرى؛ بل يسلك مسلك التوازن في كل الأمور.

٥ - الوسطية:

الوسطية لغة: مأخوذة من الوسط، ووسط الشيء: ما بين طرفيه، وهو المعتدل في كل شيء^(١).

واصطلاحاً: الاعتدال على أكمل حال في جميع الأمور.

وقد جعل الله تعالى الشريعة التي أنزلها على نبيه محمد ﷺ معتدلة في جميع أحكامها وأوامرها ونواهيها وأخلاقها وتشريعاتها، حتى نسب الله تعالى وسطيتها إليه فقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، قال ابن جرير الطبري **رحمته الله**: «يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾: كما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد ﷺ وبما جاءكم به من عند الله، فخصصناكم بالتوفيق لقبلة إبراهيم وملته، وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل، كذلك خصصناكم ففضلناكم على غيركم من أهل الأديان، بأن جعلناكم أمة وسطاً»^(٢).

وتبرز وسطية الإسلام في مسائل من أشهرها: أنه وسط في الاعتقاد في الله بين الملحدين الذين لا يؤمنون بالله واليهود الذين يلصقون به النقائص. وفي الأنبياء بين من يغلو فيهم أو في بعضهم فيعطيهم شيئاً من خصائص الربوبية كما تفعل النصارى ومن يستخفون بهم ويؤذونهم؛ بل ويقتلونهم كما تفعل اليهود. وفي الملائكة بين المشركين الذين جعلوهم إناثاً وبنات لله، والفلاسفة المكذبين بهم. وفي الصحابة بين الذين يكفرونهم أو أكثرهم، والغلاة الذين يمنحون بعضهم خصائص الرب **ﷻ** أو بعضها. وهكذا في سائر الاعتقادات.

(١) المعجم الوسيط (٢/١٠٣١).

(٢) جامع البيان (٣/١٤١).

بل تتعدى وسطية الإسلام الاعتقاد إلى السلوك والتصرفات، ففي باب اللباس والزينة شرع الله تعالى الوسط وهو اللباس الحسن النظيف، وهذا توسط بين من يلبس الخشن من الثياب مع التساهل في النظافة، ومن يغلو فيلبس ويتزين بالمحرم من اللباس والزينة.

وفي باب الأخلاق شرع الشجاعة وحثَّ عليها وحرَّم التهور والجبن، وشرع الكرم وحرَّم الإسراف والبخل، وشرع العفة وحرَّم الديانة والشك والتهمة بلا دليل... إلخ.

٦ - التيسير:

بنى الله تعالى الشريعة الإسلامية على مبدأ التيسير في جميع الأحكام، فلم يشرع إلا كل يسير على المكلفين، فلم يأمر بما يعجزهم أو يشق عليهم مشقة خارجة عن العادة، ومتى طرأت مشقة غير معتادة لبعض الناس يرد التخفيف من الله؛ كالتخفيف عن المريض والمسافر في بعض الأحكام الشرعية، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْكُمْ إِرْهِيمٌ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

تنبيه:

التيسير هو ما شرعه الله تعالى لا ما يختاره الناس لأنفسهم؛ لأنهم لو اختاروا فسيختارون ما يوافق أهواءهم ورغباتهم لا ما يحقق مرضاة ربهم مما شرعه لهم.

٧ - الاستقلالية:

الشريعة الإسلامية شريعة مستقلة عن سائر القوانين والأنظمة الحاكمة في عالم اليوم، فهي لا تشترك معها في المصدر ولا في النتيجة وإن حصل بعض

الاتفاق في الجزئيات؛ لأنَّ مصدرها الرب عزَّ وجلَّ، أما القوانين فمصدرها الأعراف البشرية وآراء المفكرين، ورصيد التجارب الإنسانية.

والنتيجة التي تقود الشريعة الناس إليها هي صلاح الدنيا وسعادة الآخرة، في حين أنَّ القوانين الأرضية إنَّ أصلحت شيئاً فهي إنما تصلح جانب العلاقات بين الناس في حدود مصالحهم الدنيوية فقط، أمَّا إصلاح الأرواح الذي يبني عليه صلاح الآخرة فهذا ما لا تستطيعه، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٦ يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ﴿٧﴾ ٧. [الروم: ٦، ٧].

«لقد عرف العالم في نشأته وتطوره نظاماً عدة، وليس النظام الإسلامي واحداً من هذه النظم ولا خليطاً منها، وليس مستمداً من مجموعها... إنما هو نظام قائم بذاته مستقل بفكرته متفرد بوسائله»^(١).

فالإسلام مستغن في أحكامه وتشريعاته عن القوانين الأرضية، وأمَّا القوانين فهي التي تحتاج لما في الإسلام من هداية ورشد، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.



(١) خصائص الشريعة الإسلامية (ص ٣٨).

الباب الثاني

مكونات الإسلام

القسم الأول: أصول العقيدة الإسلامية.

القسم الثاني: أصول الأحكام الشرعية الإسلامية.

القسم الثالث: القيم والأخلاق والآداب الإسلامية.



تمهيد

إذا تأملنا الدين الذي أنزله الله تعالى على خاتم رسله ﷺ نجد أنه يتكوّن من جزئين كبيرين: العقيدة، والشريعة. ثم إنَّ الشريعة تنقسم إلى قسمين أيضاً: أحكام، وقيم وأخلاق وآداب. فصارت محصلة التقسيم ثلاثة: عقيدة، وأحكام، وقيم وأخلاق.

وقد جمع الله تعالى هذه الأقسام في آية من كتابه، وذكر نماذج من كل قسم منها، وهي قوله ﷻ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَعَآءَى الْمَالِ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوَى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ فِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَعَآءَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّٰبِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّآءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

فجعل سبحانه البر ثلاثة أقسام:

الأول: العقيدة، ومثّل لها سبحانه بقوله: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ﴾.

والثاني: أحكام الشريعة العملية، ومثّل لها بقوله: ﴿وَعَآءَى الْمَالِ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوَى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ فِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَعَآءَى الزَّكَاةَ﴾.

والثالث: القيم والأخلاق والآداب، وقد ختم بأمثلة لها في قوله: ﴿وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّٰبِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّآءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾.

ثم ختمها كلها بقوله سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾.

وفيما يلي بيان أصول كل قسم منها:

القسم الأول

أصول العقيدة الإسلامية

تعريف العقيدة:

العقيدة لغة: مصدر من العقد، وهو ربط الشيء. والمراد بها: انعقاد القلب على أمر من الأمور بحيث لا يتطرق إليه الشك أبداً^(١). وفي الشرع: كل ما انطوى عليه القلب من الأمور الغيبية التي وردت في الكتاب والسنة؛ كالإيمان بالله تعالى والملائكة والجنة والنار... إلخ.

مصادر العقيدة:

إنَّ المصدر الصحيح لأخذ العقيدة هو الكتاب والسنة والإجماع، فمنها فقط تؤخذ العقيدة الصحيحة، وما سواهما لا يصلح أن يكون مصدراً؛ وذلك لأنَّ مسائل العقيدة كلها من الأمور الغيبية، ولا سبيل لأحد إلى إدراكها إدراكاً صحيحاً إلا بما يطلعه الله عليه من الغيب، قال الله تعالى لنبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ [الكهف: ١١٠].

ولم تنحرف البشرية عن الإسلام إلا لما أخذت اعتقادها من غير الوحي؛ كأخذ اليهود والنصارى من الأخبار والرهبان بلا دليل ولا برهان، أو أخذ الدين من الكبراء والرؤساء كسائر الملل التي انحرفت انحرفاً كاملاً عن الدين وخرجت عن جادة الحق والصواب.

وقد تنحرف البشرية عن التوحيد الخالص بسبب أخذهم العقيدة أو بعضها من غير الوحي مما استحسنوه من الفلسفات والمنامات والأذواق

(١) ينظر: القاموس المحيط (ص ٣٨٣).

وأشكال المكاشفات . . . وهذا حال أهل البدعة والإحداث في الدين .

وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ باتباع الدين الذي أوحى إليه دون الالتفات إلى غيره مما يحدثه الناس : ﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ١٠٦] ، وقال : ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٤٣] .

وما ذكره الله تعالى في الوحي من أمور الغيب كثير، وأصولها ستة، هي المعروفة بأركان الإيمان المذكورة في حديث جبريل الطويل ^(١) ، وبيانها على النحو الآتي :

أولاً: الإيمان بالله تعالى:

الإيمان بالله تعالى: هو الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه، وأنه المستحق للعبادة دون سواه، وأن له الأسماء الحسنى والصفات الكاملة المثلى ^(٢) .

إن الإيمان بالله تعالى هو أهم أصول الإيمان، وأعظمها شأنًا، وأعلاها

(١) أخرج ابن ماجه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ: فَجَاءَ رَجُلٌ شَدِيدٌ بَيَاضِ الْغِيَابِ، شَدِيدٌ سَوَادِ شَعْرِ الرَّأْسِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أُنْزُ سَفَرٍ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، قَالَ: فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْتَدَّ رُكْبَتَهُ إِلَى رُكْبَتِهِ، وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى فَخَذَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ الْبَيْتِ» قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا مِنْهُ، يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَرُسُلِهِ، وَكُتُبِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا مِنْهُ، يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَمَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»، قَالَ: فَمَا أَمَارَتُهَا؟ قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةَ رَبَّتَهَا» - قَالَ: وَكَيْفَ؟ يَعْنِي تَلِدُ الْعَجَمَ الْعَرَبَ - «وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَنْطَاطِوْنَ فِي الْبِنَاءِ» قَالَ: ثُمَّ قَالَ: فَلَقِّنِي النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ ثَلَاثٍ، فَقَالَ: «أَتَدْرِي مِنَ الرَّجُلِ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذَلِكَ جَبْرِيلُ، أَنَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ مَعَالِمَ دِينِكُمْ» . حديث رقم (٦٣) وصححه الألباني .

(٢) ينظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص ٢٧) .

قدرًا؛ بل هو أصل أصول الإيمان، وأساس بنائه، وقوام أمره، وبقية الأصول متفرعة منه ^(١)، والإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:

١ - الإيمان بوجوده ﷻ، وهذا أمر فطري، فإن كل مولود يولد مفطورًا على معرفة الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٥٠) [يونس: ١٠٥]، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٠) [الروم: ٣٠].

٢ - توحيده تعالى في ربوبيته لخلقه وأنه المتفرد بالخلق والملك والتدبير، قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

٣ - توحيده في ألوهيته، فهو المستحق للعبادة دون سواه، وهذا هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

٤ - توحيده في أسمائه وصفاته، وذلك بإثبات أسماء الله تعالى وصفاته على الوجه الذي يليق به سبحانه، ونفي مماثلته للمخلوقات، عملاً بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) [الشورى: ١١].

وإن البرهان على إيمان العبد بالله تعالى قيامه بالعمل الصالح امتثالاً لأمر الله، والمسارعة في أبواب الخير تقريباً إليه، ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠) [الكهف: ١١٠].

أما إذا كان الإيمان بالله مجرد اعتقاد في القلب بوجوده، أو إقرار باللسان دون العمل بأوامره واجتناب نواهيه، فلا يعتبر إيماناً صحيحاً؛ بل هو انحراف عن جادة الإيمان، ومخالفة للمقصود من إنزال القرآن على الرسول ﷺ، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ (١٧٩) ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾ (١٧٥) [النساء: ١٧٤، ١٧٥]. قال ابن سعدي رحمه الله:

«انقسم الناس بحسب الإيمان بالقرآن والانتفاع به قسمين:

(١) ينظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص ١٥).

١ - ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ﴾ ؛ أي: اعترفوا بوجوده واتصافه بكل وصف كامل، وتنزيهه من كل نقص وعيب. ﴿وَأَعْتَصَمُوا بِهِ﴾ ؛ أي: لجأوا إلى الله واعتمدوا عليه، وتبرؤوا من حولهم وقوتهم واستعانوا بربهم. ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ﴾ ؛ أي: فسيتغمدهم بالرحمة الخاصة، فيوفقهم للخيرات ويجزل لهم المشوات، ويدفع عنهم البليات والمكروهات. ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمًا﴾ (١٧٥) ؛ أي: يوفقهم للعلم والعمل، ومعرفة الحق والعمل به.

٢ - ومن لم يؤمن بالله ويعتصم به ويتمسك بكتابه منعهم من رحمته وحرمتهم من فضله، وخلّى بينهم وبين أنفسهم فلم يهتدوا؛ بل ضلّوا ضلالاً مبيناً، عقوبة لهم على تركهم الإيمان، فحصلت لهم الخيبة والحرمان، نسأله تعالى العفو والعافية^(١).

ثانياً: الإيمان بالملائكة الكرام:

هو التصديق الجازم بأنّ الله تعالى ملائكة، كرام، مخلوقون من نور، لا يعصونه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. وهؤلاء الملائكة الأطهار أحد العوالم الثلاثة العاقلة: عالم الإنس، وعالم الجن، وعالم الملائكة.

والملائكة مجبولون على الطاعة دائماً لا يعصون الله ما أمرهم، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْماً أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم: ٦). ولا يعلم عدد الملائكة إلا الله تعالى، إلا أنّه قد ورد ما يدل على كثرتهم، ففي «الصحيحين» أنّ النبي ﷺ قال: «رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيْلُ مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرٌ مَا عَلَيْهِمْ»^(٢).

وقد أخبرنا الله تعالى عن بعض الملائكة وأعمالهم، فمنهم: جبريل وهو

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص ٢١٧) بتصرف يسير.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٧) ومسلم برقم (١٦٤).

الموكل بالوحي، وميكائيل موكل بالمطر، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور، ومنكر ونكير موكلان بسؤال الموتى في قبورهم، وملك الموت موكل بقبض الأرواح، ومالك خازن النار. كما أخبر عن أعمال آخرين؛ كالحفظة، والكرام الكاتبين، وخزنة النار، وحملة العرش، ونحوهم.

فيجب الإيمان بمن أخبر الله عنهم إيماناً مفصلاً بالإضافة إلى الإيمان المجمل بعموم الملائكة عليهم السلام.

ومن عادى أحدًا من الملائكة واستخف بهم فقد كفر، قال الله عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٩٨) [البقرة: ٩٨].

ثالثاً: الإيمان بالكتب:

وهو التصديق الجازم بأن الله تعالى أنزل على أنبيائه ورسله كتباً تتضمن مراده من عبادته، فيها الهدى والحق والنور، وقد قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ءَأَلْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ءَأَلْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ ءَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَأَلْيَوْمِ ءَأَلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (١٣٦) [النساء: ١٣٦]، فأوجب الله عز وجل الإيمان بجميع الكتب بلا استثناء.

وقد أخبر الله تعالى عن ستة كتب أنزلها على أنبيائه هي: التوراة، ونزلها على موسى، والإنجيل على عيسى، والزيبور على داود، والقرآن على محمد، وصحف إبراهيم، وصحف موسى. ولم يصح في عدد الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه شيء يعتمد عليه.

فيجب الإيمان بجميع الكتب المنزلة إيماناً مجملاً، وبالقرآن الكريم إيماناً مفصلاً، وأمّا العمل فلا يكون إلا بالقرآن الكريم دون غيره، إذ هو الكتاب الذي تكفل الله تعالى بحفظه من بين سائر كتبه، فهو محفوظ بحفظ الله له إلى قيام الساعة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٩) [الحجر: ٩]، أمّا غيره فهو إمّا مفقود لا يُعلم عنه شيء كصحف إبراهيم وموسى والزيبور، أو محرّف مبّدل كالتوراة والإنجيل.

رابعًا: الإيمان بالرسول ﷺ :

وهو التصديق الجازم بأن الله تعالى اصطفى رجلاً من البشر أرسلهم لهداية الناس وتبليغهم عن ربهم ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٧٥) [الحج: ٧٥].

وقد ذكر الله تعالى في كتابه خمسة وعشرين نبياً ورسولاً يجب الإيمان بهم على التفصيل^(١)، وأخبر أن من أنبيائه ورسله من لم يخبر بهم فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

وأما محمد ﷺ فيجب الإيمان به على التفصيل بأنه نبي الثقلين، خاتم الأنبياء والمرسلين، ويجب الاقتداء به واتباع سنته واتخاذة أسوة حسنة، وأنه لن يدخل الجنة أحد ممن أدركه أو جاء بعده إلا بالإيمان به واتباعه.

خامسًا: الإيمان باليوم الآخر:

هو التصديق الجازم بكل ما أخبر الله تعالى به في كتابه وأخبر به نبيه ﷺ في سنته مما يكون بعد الموت.

وما يكون بعد الموت كثير منه: القبر ونعيمه وعذابه، والبعث، والحشر، والميزان، والحساب والصراط، والجنة، والنار، وما يتبع ذلك من علامات الساعة، وأهوال القيامة، وشدة الموقف، وأحوال الناس في العرصات، والشفاعة وغيرها.

(١) ذكر الله تعالى ثمانية عشر نبياً في قوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأِهِ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (٨٢) ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٦) ﴿وَذَكَرْنَا وَيْحَ وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٨٥) ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَهُودًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٨٦).

[الأنعام: ٨٣ - ٨٦]. وذكر السبعة الباقين في آيات متفرقة، جمعهم الناظم في هذين البيتين:

فِي (تِلْكَ حُجَّتُنَا) مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ مِنْ بَعْدِ عَشْرِ وَيَبْقَى سَبْعَةٌ وَهُمْ إِدْرِيسُ هُوَذَا شُعَيْبٌ صَالِحٌ وَكَذَا ذُو الْكِفْلِ آدَمُ بِالْمُخْتَارِ قَدْ حُتِمُوا

ولأهمية الإيمان بهذا الركن قرنه الله تعالى بالإيمان به **عَلَى** في قرابة عشرين موضعاً من كتابه، ومن ذلك قوله: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ (٣٩) [النساء: ٣٩]، وقوله: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وهذا يدل على عظم منزلة الإيمان باليوم الآخر وأنه لا قيمة للإيمان ما لم يتضمن الإيمان بهذا الركن العظيم.

ومما يجب الإيمان به على وجه التفصيل من أمور اليوم الآخر ما يلي:

- الإيمان بسؤال الملكين ونعيم القبر وعذابه، فعن أبي هريرة **رضي الله عنه** قال: قال رسول الله **ﷺ**: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ، أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ، أَنَاهُ مَلَكَانِ أُسُودَانِ أَرْزَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَالْآخِرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَخُ لَهُ فِي قَبْرِهٖ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي فَأَخْبِرْهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ الْعُرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيَقَالُ لِلأَرْضِ: التَّيْمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَمِ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَرَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»^(١).

- الإيمان بالبعث بعد الموت؛ لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمِتُونَ

﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١٥، ١٦].

- الإيمان بحشر الخلائق وجمعهم في عرصات القيامة؛ لقوله تعالى:

(١) أخرجه الترمذي برقم (١٠٧١)، وحسنه الألباني.

﴿يَوْمَ يُفْخِرُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢]، ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [فصلت: ١٩].

- الإيمان بالحساب، وأن الله يحاسب الخلق كلاً بما اقترف، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كِتَابَهُ بِمِيزَانِهِ﴾ (٧) ﴿فَسَوْفَ يَحَاسِبُهُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٨) ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ (٩) ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كِتَابَهُ وِرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ (١٠) ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ (١١) ﴿وَيَصِلَىٰ سَعِيرًا﴾ (١٢) ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ (١٣) ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يَحُورَ﴾ (١٤) ﴿بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ (١٥) [الانشقاق: ٧ - ١٥].

- الإيمان بالميزان، وأن الله تعالى يزن أعمال العباد، كما قال ﷺ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنَّا بِهَا حَسِيبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

- الإيمان بحوض النبي ﷺ الذي يرده ويشرب منه هو وأتباعه من أمته، قال ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةٌ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِبْرَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا» (١).

- الإيمان بالصراط، لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ» (٢).

- الإيمان بروية المؤمنين لربهم ﷻ في الآخرة، قال النبي ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ» (٣).

- الإيمان بالجنة دار للمتقين والنار دار للكافرين، كما قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) [آل عمران: ١٣٣]، ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١].

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٧٩).

(٢) المصدر نفسه برقم (٧٤٣٧).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٥٤).

سادساً: الإيمان بالقدر:

هو التصديق الجازم بأن الله تعالى علم كل ما كان وما يكون وما سيكون قبل أن يخلق الخلق، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وشاء وجوده في الكون، ثم خلق الخلق بعد ذلك كله.

وقد سأل يحيى بن يعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن قوم يقولون أن لا قدر وأن الأمر أنف^(١)، فقال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أنني بريء منهم وأنهم براء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن القدر. ثم ساق حديث جبريل الطويل الذي سُئِلَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ»^(٢).

والله تعالى قد جعل العبد مسيراً في بعض أموره لا مخيراً، وذلك في الأمور الكونية القدرية التي لم يمنحه الله حق الاختيار فيها، ولم يجعلها داخلة تحت قدرته ومشيتته؛ كالموت والحياة، والصحة والمرض، والغنى والفقر، كما قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ يَبِيدُكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣) [آل عمران: ٢٦].

أمَّا الأمور الشرعية المتعلقة بالإيمان والكفر، والطاعة والمعصية، فمن كمال عدل الله تعالى أن جعلها تحت قدرة العبد وإرادته ومشيتته، بعدما بين له ما يحب منه أن يفعله وما يكره له فعله، فهو يختار بمحض إرادته، قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]، وقال: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(٤) [البلد: ١٠]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٥) [التوبة: ١١٥].

(١) أي: أمر حادث جديد وليس مقدر في الأزل.

(٢) سبق تخريجه.

ومن هنا؛ يتبين أن للعبد أن يحتج بالقدر على ما يصيبه من المصائب إذ هو مسير فيها ليس بيده الاختيار. وأما طاعته وعصيانه وإيمانه وكفره فلا يجوز له أن يحتج فيها بالقدر؛ بل هو يؤمن أو يكفر ويطيع أو يعصي بمحض إرادته واختياره، كما نظقت بذلك النصوص الشرعية السابقة وغيرها.

وختاماً؛ يجب العلم بأن الإيمان بالأركان الستة كل لا يتجزأ، فلا يصح إيمان عبد حتى يؤمن بالأصول الستة جميعها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

تنبيه:

ليعلم المؤمن أن مبنى العقيدة كلها على الإيمان بالغيب، فمضمون أصول الإيمان وما يندرج تحتها كلها من أمور الغيب التي كشفها الله للناس على السنة رسله عليهم الصلاة والسلام، ولولا ذلك لم يكن سبيل إلى معرفتها، قال تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْكُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رِصْدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

والإيمان بالغيب أول صفة للمؤمنين ذكرها الله تعالى في كتابه في مفتتح سورة البقرة فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة: ١ - ٣].

ولهذا؛ فإنه يجب على المسلم تصحيح عقيدته، إذ صحة العبادة وقبولها عند الله مرهون بصحة الاعتقاد وإلا جعل الله الأعمال هباءً منثوراً، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ يَفِيغَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَظًّا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابًا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [النور: ٣٩]. وأخبر تعالى أن عدم قبول أعمالهم الصالحة إنما كان بسبب فساد عقيدتهم فقال: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [التوبة: ٥٤].

والأنبياء كلهم من أولهم نوح عليه السلام إلى محمد عليه السلام يدعون إلى عقيدة

واحدة ودين واحد، هو توحيد الله ﷻ في ذاته وأسمائهم وصفاته وأفعاله، وتوحيده في إرادتهم وقصودهم ليعبد الله وحده لا شريك له، واختص كل نبي بشريعة وأحكام يُتعبَّد بها لله تعالى، قال النبي ﷺ: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ^(١)، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»^(٢).



(١) إذا كان الإخوة من أب واحد وأمهاتهم متعددة يسمون أخوة علات، ومثَّل بهم لأنَّ الأنبياء كلهم على اعتقاد وملة واحدة، وأمَّا شرائعهم متعددة.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٤٤٣).

القسم الثاني

أصول أحكام الشريعة الإسلامية

الشريعة في اللغة: مأخوذة من الشرع وهو: البيان والإظهار، فيقال: شرع الله كذا؛ أي: جعله طريقًا ومذهبًا واضحًا بيّنًا^(١).

وفي الاصطلاح لها إطلاقان:

الأول: الدين الذي أنزله الله تعالى وأرسل به رسوله ﷺ، فيقال: شريعة الإسلام؛ أي: دين الإسلام، فهي بهذا مرادفة للدين والملة. وليس هذا الإطلاق مراد هنا.

الثاني: الأحكام العملية التي شرعها الله لعباده فعلاً أو تركاً رجاء الثواب منه سبحانه.

والشريعة بهذا المعنى تشمل جميع أبواب الفقه، فكلها مما شرعه الله للناس، وبه استقامة أمورهم في دينهم بامثال ما شرعه الله لهم وتعبدهم به، وفي دنياهم بصلاح أحوالهم واستقامة أمور معاشهم وكبح جماح النفوس الظالمة في التعدي على الأنفس والأموال والأعراض، وبهذا تتحقق للناس سعادتهم في الدنيا بامثالهم لأوامر الله واجتناب نواهيه، وفي الآخرة الفوز بدار كرامته والخلود المقيم في جنته.

الفرق بين الشريعة والعقيدة:

مما سبق يتبين أن العقيدة هي كل ما يجب اعتقاده وتصديقه والإقرار به إقرارًا جازمًا، ومحلُّها القلب، أمَّا الشريعة فهي: الأحكام العملية التي كلف الله تعالى بها عباده، وهي من أعمال البدن الظاهره.

(١) ينظر: التعريفات (ص ١٦٧).

فالشريعة بالمعنى الخاص جزء من الدين الذي ارتضاه الله تعالى للناس وأنزل به كتابه وأرسل به رسوله ﷺ، وهي بهذا على أحوال:

منها: ما هو واجب؛ كأركان الإسلام الخمسة.

ومنها: ما هو مستحب وليس بواجب؛ كالصدقات التطوعية، وتقديم الخدمات، ومساعدة الناس على اختلاف حوائجهم.

ومنها: ما هو محرم يجب تركه والابتعاد عنه؛ كموجبات الحدود الشرعية، والاعتداء على الأنفس أو ما دونها، والاعتداء على الأموال والأعراض.

ومنها: ما هو دون ذلك كله مما كرهه الشرع وحث الناس على تركه والابتعاد عنه ولم يعزم عليهم فيه.

وفيما يلي بيان مجمل لأبرز أصول الشريعة:

أولاً: الشهادتان:

تعتبر شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله باب الإسلام، فلا إسلام لمن لم يقرَّ بهما بقلبه وينطقهما بلسانه ويعمل بمقتضاهما بجوارحه.

ولأنَّ الشهادتين يقتضيان نطق اللسان وعمل الجوارح صارتا من أصول الشريعة، وفيما يلي بيان معناهما:

معنى شهادة أن لا إله إلا الله

كلمة لا إله إلا الله تتكوّن من شقين: النفي في قوله: «لا إله»، والإثبات في قوله: «إلا الله»، فقائلها ينفي الألوهية عن كل معبود، ثم يثبتها لمعبود واحد هو الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، والعروة الوثقى - في قول أئمة التفسير - هي: لا إله إلا الله، التي هي باب الإسلام وأساس الإيمان.

قال إمام الحنفاء إبراهيم رحمته الله لأبيه وقومه مبيّناً عقيدته في آلهتهم: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (٣٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿٣٧﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]، فتراً من كل ما يعبد قومه من دون الله وأثبت العبودية لله وحده الذي خلقه.

ومعنى: لا إله إلا الله؛ أي: لا معبود بحق إلا الله تعالى. فالناس تنوع معبوداتهم ولكن المعبود الحق هو الله، وما عُبد من دونه باطل عاجز، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً فضلاً عن أن يملكه غيره ممن يعبدونه.

شروط لا إله إلا الله:

لا يكفي نطق لا إله إلا الله باللسان؛ بل لا بد من اعتقاد معناها بالقلب، فلذا لا بد من تحقيق شروطها؛ ليكون النطق بها حقيقياً، وشروطها سبعة:

الأول: العلم بمعناها، لقوله تعالى لنبينه رحمته الله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

الثاني: اليقين بما تدل عليه من معنى؛ لقوله رحمته الله لأبي هريرة رضي الله عنه: «مَنْ لَقِيَْتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ»^(١).

الثالث: القبول لما اقتضته من عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، قال الله تعالى منكرًا على من كذبوا الرسول ولم يقبلوا التوحيد: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣٥) وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَكُمْ لَشَاعِرٍ تَجْنُونَ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ [الصفات: ٣٥ - ٣٧].

الرابع: الانقياد لما تضمنته من الأوامر والنواهي، ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٢٢) [لقمان: ٢٢]. ومعنى: ﴿يُسَلِّمْ وَجْهَهُ﴾؛ أي: ينقاد لله تعالى.

الخامس: الصدق فيها، بحيث يوافق قلبه لسانه، قال رحمته الله: «مَا مِنْ أَحَدٍ

(١) أخرجه مسلم برقم (٣١).

يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»^(١).

السادس: الإخلاص في قولها بحيث لا يطلب بها رياء ولا سمعة ولا لينال بها مطمعًا من مطامع الدنيا، قال ﷺ: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»^(٢).

السابع: المحبة لهذه الكلمة وما دلّت عليه من معنى، ومحبة أهلها العاملين بها، وموالاتهم والبراءة من كل من يخالفها، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]، قال حافظ حكيمي رحمته الله: «فأخبرنا الله ﷻ أَنَّ عبادته المؤمنين أشد حُبًّا له؛ وذلك لأنهم لم يشركوا معه في محبته أحدًا كما فعل مُدْعُو محبته من المشركين، الذين اتخذوا من دونه أندادًا يحبونهم كحبه، وعلامة حُبِّ العبد ربّه تقديم محابّه وإن خالفت هواه، وبُغض ما يبغض ربّه وإن مال إليه هواه، وموالاته من والى الله ورسوله، ومعاداة من عاداه، واتباع رسوله ﷺ واقتفاء أثره وقبول هداه، وكل هذه العلامات شروطٌ في المحبة لا يُتصور وجود المحبة مع عدم وجود شرط منها»^(٣).

﴿ معنى شهادة أن محمد رسول الله ﷺ ﴾

الشهادة بالرسالة؛ تعني: لا مطاع ولا متبوع بحق إلا النبي ﷺ. قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله: «معنى شهادة أن محمدًا رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يُعبَدَ الله إلا بما شرع»^(٤). قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ

(١) أخرجه البخاري برقم (١٢٨).

(٢) المصدر نفسه برقم (٩٩).

(٣) معارج القبول (٢/٤٢٤).

(٤) ينظر: متون طالب العلم - الأصول الثلاثة - (ص ٥٨).

اللَّهُ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ
وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢].

وقال ابن القيم **رحمته** مبيِّناً ما تتضمنه شهادة أن محمداً رسول الله: «وأما
الرضا بنبية رسولاً: فيتضمن كمال الانقياد له، والتسليم المطلق إليه، بحيث
يكون أولى به من نفسه، فلا يتلقى الهدى إلا من مواقع كلماته، ولا يُحاكم
إلا إليه، ولا يحكم عليه غيره، ولا يرضى بحكم غيره البتة، لا في شيء من
أسماء الرب وصفاته وأفعاله، ولا في شيء من أذواق حقائق الإيمان
ومقاماته، ولا في شيء من أحكام ظاهره وباطنه، ولا يرضى في ذلك بحكم
غيره، ولا يرضى إلا بحكمه؛ بل إنَّ الحكم بما أنزل الله تعالى هو معنى
شهادة أن محمداً رسول الله»^(١).

ثانياً: إقامة الصلاة:

الصلاة في اللغة: الدعاء.

وفي الشرع: أركان مخصوصة وأذكار معلومة بشرائط محصورة في أوقات
مقدَّرة.

والصلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، وهي الفرقان بين المسلم
والكافر، كما قال النبي **ﷺ**: «العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ
كَفَرَ»^(٢).

والصلوات المشروعة في الإسلام على نوعين:

الأول: الصلوات الواجبة المفروضة:

وهي خمس صلوات في اليوم واللييلة: الظهر، والعصر، والمغرب،
والعشاء، والفجر. فلا يعذر بالغ عاقل من المسلمين في تركها لأي سبب
كان، فقد سأل عمران بن حصين **رضي الله عنه** النبي **ﷺ** حين اشتكى مرضاً ألمَّ به

(١) مدارج السالكين (١٧٢/٢، ١٧٣).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٦٢١) وقال: حديث حسن صحيح غريب. وصححه الألباني.

فصعبت عليه الصلاة معه، فقال له النبي ﷺ: «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ»^(١)، فلم يعذره النبي ﷺ مع ما به من المرض والعجز فدل ذلك على أن الصلاة الواجبة لا يعذر أحد في تركها ما دام عقله موجودًا.

وقد أوجب الله تعالى على الرجال أداء هذه الصلوات المفروضة في المسجد مع جماعة المسلمين، قال ﷺ: «إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمَرَ بِالصَّلَاةِ، فَتُقَامَ، ثُمَّ أَمَرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِيَ بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزْمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأُحْرِقَ عَلَيْهِمْ يُوتُوهُمْ بِالنَّارِ»^(٢)، وقد بَوَّبَ البخاري على هذا الحديث بقوله: «باب وجوب صلاة الجماعة».

ولما سأله ﷺ رجل أعمى أن يرخص له بالصلاة في بيته رخص له، فلما أدبر سأله: «هَلْ تَسْمَعُ النَّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَجِبْ»^(٣).

ففي هذين الحديثين دليل على وجوب صلاة الجماعة في المسجد على الرجال خاصة دون النساء.

الثاني: الصلوات المستحبة:

الصلوات المستحبة في الإسلام ثلاثة أنواع:

أولها: المستحبات استحبابًا مؤكدًا؛ كالسنن الرواتب، وصلاة الاستسقاء، والعيدين، والوتر، وصلاة التراويح.

ثانيها: المستحبات استحبابًا مطلقًا؛ كصلاة ركعتين بعد الوضوء، وصلاة ركعتين بعد أذان المغرب وقبل الفريضة؛ لقول النبي ﷺ: «صَلُّوا قَبْلَ الْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: صَلُّوا قَبْلَ الْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ عِنْدَ

(١) أخرجه البخاري برقم (١١١٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٤)، ومسلم برقم (٦٥١).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٦٥٣).

الثالثة: لِمَنْ شَاءَ^(١).

ثالثها: النوافل المطلقة: وهي التي لم تقيد بعدد معين ولا زمن معين؛ كصلاة الليل، كما في الحديث أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمْ الصُّبْحَ صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تُؤْتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى»^(٢).

ثالثاً: الصدقة:

لقد وهب الله تعالى عباده الأموال، وجعل له فيها حقوقاً يجب أن يؤدوها كما أوجبها، وندبهم بعد ذلك إلى بذل الوسع في أبواب أخرى من الإنفاق، فصارت الحقوق المالية على قسمين:

الأول: الحق الواجب:

لقد تنوعت مصارف الأموال الواجبة، ومن أشهرها:

١ - الزكاة: وهي في اللغة: الطهارة والنماء. وفي الشرع: إخراج نصيب مقدر شرعاً في مال معين لأصناف مخصوصة على وجه مخصوص. والزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام، وهي واجبة بقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^(٤٣) [البقرة: ٤٣]، وقال عن عباده المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾^(٢٥) [المعارج: ٢٤، ٢٥]، والحق المعلوم هو المقدار الواجب إخراجه من المال إذا بلغ النصاب وحال عليه الحول.

٢ - النفقة على الزوجة والأولاد، والوالدين إذا احتاجا، وأيضاً النفقة على من تحت يده ممن تلزمهم نفقتهم من خدم وبهائم وغيرهم، فقد ثبت في الحديث: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوَّتَهُ»^(٣). وقال وهب بن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قال مولى لعبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إني أريد أن أقيم بيت

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢٠٥٥٢)، وصححه الألباني.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٩٩٠)، ومسلم برقم (٧٤٩).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٩٩٦).

المقدس هذا الشهر، فقال له عبد الله: تركت لأهلك ما يقوتهم هذا الشهر؟ قال: لا، قال: فارجع على أهلك فاترك لهم ما يقوتهم فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ»^(١).

الثاني: الحق المستحب:

وهو الإنفاق المطلق في وجوه البر والخير؛ كصدقة التطوع، وإعانة المحتاج، وسداد الديون عن المدينين، وهذا باب واسع لا يمكن حصره. وقد وردت نصوص كثيرة في الحث على بذل الوسع في الإنفاق في وجوه البر والخير، منها: ما رواه عدى بن حاتم رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»^(٢). وقال رضي الله عنه: «كُلُّ أَمْرٍ فِي ظِلِّ صَدَقَةٍ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ»^(٣) وكان السلف رحمهم الله لا يخطئهم يوم إلا تصدقوا فيه ولو بتمرة أو بصلّة.

رابعًا: الصوم:

الصوم في اللغة: الإمساك.

وفي الشرع: الإمساك عن الطعام والشراب وسائر المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس امتثالاً لله تعالى.

والصوم من العبادات المشروعة في الإسلام؛ بل وفي الشرائع السابقة أيضاً، وهو في الإسلام من حيث الحكم على حالين:

أولهما: الصوم الواجب: وهو صوم شهر رمضان، فقد أوجب الله تعالى على كل مسلم بالغ عاقل قادر أن يصوم شهر رمضان لله تعالى، فقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١٨٣) [البقرة: ١٨٣]، وقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (٦٨٤٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٠١٦).

(٣) أخرجه أحمد في المسند بإسناد صحيح برقم (١٧٣٣٣).

وَبَيَّنَّتْ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴿البقرة: ١٨٥﴾ .

ووعده من صامه إيماناً واحتساباً بمغفرة ذنوبه السابقة، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ حين قال: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(١).

وثانيهما: الصوم المستحب: كصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصيام الاثنين والخميس، وصيام يوم عرفة ويوم عاشوراء، وأفضل الصوم المستحب صيام يوم وإفطار يوم، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ عِنْدَ اللَّهِ، صَوْمَ دَاوُدَ ﷺ كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا»^(٢).

وإنَّ المقصود من مشروعية الصوم تعويد العبد على تقوى الله ﷻ، فالصيام له معنيان:

الأول: صيام العبد عن المفطرات الحسية من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وفي هذا تعويد للإنسان على كبح شهوته عن الطعام والشراب وغيرهما إرضاءً لربه ﷻ، فيدفعه ذلك إلى كبح سائر شهواته عما حرم الله تعالى، ويلزم نفسه طاعة ربه، فيعمل بما شرعه الله له وينتهي عما نهاه عنه، فيكون بذلك وقافاً عند حدود الله.

والثاني: صيام سائر الجوارح عما حرم الله عليها، فكما صام البدن عن الطعام والشراب وسائر المفطرات الحسية مع حبه لها ورغبته فيها فكذلك تصوم سائر الجوارح عن كل ما حرم الله امتثالاً لأمره سبحانه، فقد ثبت في الحديث أَنَّ النبي ﷺ قال: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»^(٣).

فإذا لم تصم العين عن النظر إلى المحرم عليها، والأذن عن استماع

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١١٥٩).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٠٥٧).

المحرم، واليد عن تناول المحرم عليها، والقدم عن السير إلى ما حرم الله، وسائر الجسد عن ارتكاب ما حرم الله وإلا كأنه لم يصم، إذ لم تتحقق فيه مقاصد الصيام كما أرادها الله ﷻ.

خامساً: الحج والعمرة:

شرع الله تعالى للمسلمين زيارة بيته المعظم بمكة المكرمة، وهي شعيرة من شعائر الدين جاء بها الأنبياء ﷺ جميعاً، فقد أخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مرَّ بوادي الأزرق، فقال: «أَيُّ وَادٍ هَذَا؟» فَقَالُوا: هَذَا وَادِي الْأَزْرَقِ، قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى ﷺ هَابِطًا مِنَ السَّمَاءِ، وَلَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللَّهِ بِالتَّلْبِيَةِ»، ثُمَّ أَتَى عَلَى ثَنِيَّةِ هَرَشَى، فَقَالَ: «أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ؟» قَالُوا: ثَنِيَّةُ هَرَشَى، قَالَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُوسُفَ بْنِ مَتَّى ﷺ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعَدَةٍ عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، خِطَامُ نَاقَتِهِ خُلْبَةٌ^(١) وَهُوَ يُلَبِّي^(٢)».

وقد أوجب الله تعالى على المسلمين قصد مكة للحج والعمرة مرة واحدة في العمر كما قال ﷻ: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» ﴿٩٧﴾ [آل عمران: ٩٧]، وما زاد عن ذلك فهو تطوع مستحب، فقد سأل الأقرع بن حابس رضي الله عنه النبي ﷺ عن الحج: أفي كل سنة، أو مرة واحدة؟ فقال: «بَلْ مَرَّةً وَاحِدَةً، فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ»^(٣).

وورد في الحديث أيضاً الحث على الإكثار من الحج والعمرة للمستطيع فقال ﷻ: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ، وَالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»^(٤).

(١) الخُلْبَةُ: الحبل المصنوع من الليف. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص ٢٧٦).

(٢) حديث رقم (١٦٦).

(٣) أخرجه أبو داود برقم (١٧٢١) وصححه الألباني.

(٤) أخرجه الترمذي برقم (٨١٠) وقال: حديث صحيح، ووافقه الألباني.

ومنافع الحج قسمان: دينية ودنيوية. فالدينية: ما يدركه العبد من لذة التقرب إلى الله بالطاعة، وما يناله من ثوابه وجنته في الآخرة، أما الدنيوية: فتعويده الاستعداد لطاعة الله دائماً، فهو في الحج يخرج من بلده وأهله، وينزع ما اعتاده من لباسه، ويتخفف من المتاع والمظاهر والمراكب، وفي ذلك أعظم موعظة للمؤمنين، إذ خروجهم للحج على هذا الحال وهم شعث غير ليس عليهم من اللباس إلا القليل ولا من المتاع إلا القليل يذكرهم بخروجهم من الدنيا واستقبالهم الآخرة وليس معهم من دنياهم إلا العمل الصالح، فيكون في ذلك موعظة لهم تدفعهم إلى إحسان العمل والاستعداد ليوم المعاد.

هذه جملة من أحكام الشريعة المتعلقة بالأركان الخمسة العملية، وسيتبعها الحديث عن الجانب الثاني من الشريعة وهو جانب القيم والأخلاق والآداب^(١).



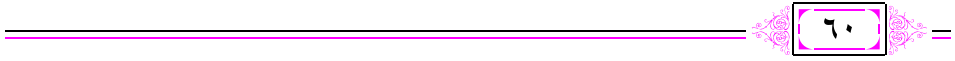
(١) الأخلاق والقيم والآداب جزء من الشريعة وقسم منها وليست قسيمة لها، وإنما تُفرد بالذكر والبيان للتأكيد على أهميتها.

القسم الثالث

القيم والأخلاق والآداب الإسلامية

- الوحدة الأولى: مدخل للقيم والأخلاق والآداب الإسلامية.
- الوحدة الثانية: القيم الإسلامية.
- الوحدة الثالثة: أصول الأخلاق.
- الوحدة الرابعة: الآداب الإسلامية العليا.
- الوحدة الخامسة: قواعد في الآداب الإسلامية الاجتماعية.
- الوحدة السادسة: أخلاق المهنة، وطرق اكتساب الأخلاق.





الوحدة الأولى

المدخل للقيم والأخلاق والآداب الإسلامية

تعريف القيم الإسلامية:

القيم في اللغة: جمع قيمة، وهي كل ما له قدر سواء كان مادياً كقيمة المبيع، أو معنوياً، كقولهم: قيمة المرء ما يحسن. وتطلق ويراد بها: العدل، والحسن، والاستقامة^(١).

وفي الاصطلاح: الصفات الحميدة التي حثَّ عليها الشرع؛ لتدفع الإنسان نحو الإيجابية والرقي في ذاته وفكره وتميزه السلوكي.

تعريف الأخلاق الإسلامية:

الأخلاق في اللغة: جمع خلق، ويطلق على: الطبع، والسجية^(٢).

وفي الاصطلاح: هيئة - طبيعة - للنفس راسخة، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية^(٣).

ومن هذا التعريف يتبين أنَّ الأخلاق طبيعة قائمة بالنفس البشرية، تصدر عنها الأقوال والأفعال، فإن كانت جميلة وُصفت بالحسنة، وإن كانت قبيحة وُصفت بالسيئة، لذا فإنَّ من تكَلَّف الخلق الحسن وليس هو طبيعة راسخة فيه لا يوصف به، كمن يتكلف الكرم ويجبر نفسه عليه فلا يوصف بالكريم، ومن تكَلَّف كفَّ نفسه عند سَوْرَةِ الغضب لا يوصف بالحلم؛ بل لا يوصف بالخلق إلا من كان الخلق طبيعة راسخة في نفسه.

(١) ينظر: كتاب العين (٢٣٣/٥)، القاموس المحيط (ص١٤٨٧)، لسان العرب (٤٩٦/١٢).

(٢) ينظر: لسان العرب (٨٥/١٠).

(٣) ينظر: التعريفات (ص١٣٥).

تعريف الآداب الإسلامية:

الآداب: جمع أدب، وهي محاسن الأخلاق التي تدفع لاكتساب الفضائل^(١).

العلاقة بين القيم والأخلاق والآداب:

إنَّ القيم والأخلاق والآداب منشؤها واحد، وبينها تداخل كبير، إلى درجة التجاوز اللفظي بإطلاق أحدها على سائرهما، ومع هذا يمكن التفريق بينهما بما يلي:

الأول: أنَّ القيم كلها حسنة فاضلة، وأمَّا الأخلاق فمنها الحسن كالصبر والتواضع والشجاعة، ومنها القبيح السيئ؛ كالكبر والجبن والخيانة^(٢).

الثاني: القيم كليات كبرى تحققها مجموعة من الأخلاق، بينما الأخلاق مفردة، فالقيم على هذا أعمُّ من الأخلاق وأشمل؛ كالصدق يُعدُّ قيمة؛ لأنَّه لا يتحقق إلا باتصاف الإنسان بالإخلاص لله، والقوة على ضبط النفس، والشجاعة على قوله وإن كان غير مقبول من الآخرين، فهو قيمة تتحقق عن طريق مجموعة من الأخلاق الفاضلة، وهكذا سائر القيم.

الثالث: أنَّ الآداب تطلق غالبًا على الجانب العملي التطبيقي من الأخلاق، فيقال: آداب الحديث، وآداب الطعام، وآداب السفر ونحوها. وهذا لا ينطبق على القيم ولا الأخلاق.

ويتبين من هذا أنَّ القيم والأخلاق والآداب يختص كل منها بجانب واحد مما ينبغي على المسلم أن يتحلَّى به من الفضائل، ويطلق على جميعها أخلاق تجوزًا، قال الخراز مبيِّنًا موضوع الأخلاق: «هو كل ما يتصل بعمل المسلم ونشاطه، وما يتعلق بعلاقته بربه، وعلاقته مع نفسه، وعلاقته مع غيره

(١) ينظر: المصباح المنير (ص ١٠).

(٢) ينظر: محاضرة القيم الأخلاقية وأثرها في تحقيق الوحدة الوطنية، للشيخ ابن بيه:

من بني جنسه، وما يحيط به من حيوان وجماد»^(١).

خصائص القيم والأخلاق الإسلامية:

إنَّ لكل أمة قيمها التي تعتز بها، وتسعى على ترسيخها لدى أتباعها، فيتوارثها الناس جيلاً بعد جيل، وبها تُغرس معاني الولاء لعقيدة وثقافة أربابها، فتصير مميّزاً من مميزات الأمم والشعوب.

أمَّا القيم والأخلاق في الإسلام فشأنها مختلف جدًّا؛ إذ إنها تنفرد بخصائص وسمات لا يشاركها فيها غيرها من الأمم، ومن أبرز خصائصها أنَّها:

١ - ربانية: أي: أنَّ الذي شرعها وحكم بحسنها وحثَّ على امتثالها والاتصاف بها وتطبيقها هو الله تعالى، في حين أنَّ غالب القيم السائدة في العالم نتاج أفكار البشر وتراكم تجاربهم الحياتية، فلا يوجد لها مصدر ثابت تنهل منه ما يغذي قيمها الروحية أو المادية على حدِّ سواء.

٢ - تعبدية: فكل القيم والأخلاق الإسلامية يُطلب القيام بها شرعاً، إمَّا طلب وجوب أو استحباب، ومن قام بها استحقَّ الأجر والثواب على ذلك من الله تعالى.

بالإضافة إلى أنها تجعل المسلم مسؤولاً عن تصرفاته في الدنيا والآخرة، فحسن الخلق عاقبته الحمد في الدنيا والجزاء الحسن في الآخرة، والسيئ مذموم في الدنيا ومتوعد عليه في الآخرة، إذ إنَّ القاعدة الشرعية تنص على أنَّ كل عمل ورد الحث عليه في الشرع وترتب على فعله امتثالاً ثواب في الآخرة، وعلى تركه إن كان من المنهيات الثواب فهو عبادة، وقد روى أبو ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنواعاً من الأخلاق التي أثبت الأجر لعاملها فقال: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصْرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ

(١) موسوعة الأخلاق (ص ٢٢).

الْبَصْرِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ، وَالشَّوْكَ وَالْعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»^(١).

فالمسلم مسؤول في الدنيا عن كل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال؛ كالقذف والسب والشتم ونحوها، وهو محاسب في الآخرة عما يصدر عنه من خير وشر، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقد سأل النبي ﷺ أصحابه عن المفلس؟ فقالوا: المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع. قال رسول الله ﷺ: «الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيَقْعُدُ، فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصَّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَايَا، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(٢).

٣ - ثابتة راسخة: فهي لا تتغير ولا تتبدل مع مرور الزمان حتى وإن اختلفت الأعراف البشرية وتبدلت أنماط الناس الحياتية، فثباتها بثبات أدلتها الشرعية، وهي محفوظة بحفظ الله لدينه وكتابه، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]؛ فالخلق الحسن سيبقى حسناً إلى قيام الساعة، والسيئ كذلك.

٤ - واقعية: يمكن فهمها وإدراك المطلوب امتثاله منها، فهي ليست خيالية مجردة يصعب إدراكها إلا من فئة قليلة من الناس؛ بل الكبير والصغير والذكي والبليد يدرك المطلوب امتثاله منها.

٥ - عملية: والمقصود: أنها قابلة للامتثال والتطبيق، فليست قيماً نظرية تردها الألسن ثم لا تؤثر في واقع الإنسان وفكره وسلوكه شيئاً.

(١) أخرجه الترمذي برقم (١٩٥٦)، وقال: حديث حسن. وصححه الألباني.

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٤١٨) وقال: حديث حسن صحيح. وصححه الألباني.

أهمية القيم والأخلاق والآداب الإسلامية:

إنَّ للقيم والأخلاق والآداب الإسلامية أهمية كبيرة للفرد المسلم والمجتمع المسلم كذلك، ومن أبرز جوانب أهميتها للفرد ما يلي:

١ - أنها تسهم في تشكيل الشخصية الإسلامية بتحديد أهدافها وغاياتها التي تسعى إليها ويجب أن تحافظ عليها.

٢ - تقوية جوانب الضعف عند المسلم، وتمنعه من التأثر بما يطرأ له من تحديات تنازعه للتخلي عن قيمه وأخلاقه. فعن معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا، وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ، حَتَّى يُخَيَّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ»^(١).

٣ - إكساب الفرد معيارًا حقيقيًا ودقيقًا يميز به بين الصواب والخطأ. فعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم؟ فقال: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»^(٢).

٤ - إصلاح الفرد من الناحية النفسية، وتوجيهه نحو حبِّ الخير والإحسان إلى الآخرين. فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(٣). وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله، دلّني على عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبني الناس، فقال رسول الله ﷺ: «ارْزُقْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ، وَارْزُقْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ»^(٤).

٥ - تساعده على ضبط هواه والتحكم في شهواته فلا يصدر عنه إلا ما يرضي ربه. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ التَّمَسَّ رِضَى اللَّهِ

(١) المصدر نفسه وحسنه، برقم (٢٠٢١)، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٥٣).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣)، ومسلم برقم (٤٥).

(٤) أخرجه ابن ماجه برقم (٤١٠٢)، وصححه الألباني.

بَسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ، وَمَنِ التَّمَسَّ رِضَا النَّاسِ
بَسَخَطِ اللَّهِ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَسَخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ»^(١).

٦ - تدفع الإنسان لاحتساب الأجر في جميع أعماله الدينية والدنيوية،
لعلمه أن مراعاته لقيم الإسلام وآدابه وأخلاقه مما يؤجر عليه، فقيمة التعبد
مثلاً ستدفعه لاحتساب الأجر حتى في أمور معاشه، فعن كعب بن عجرة رضي الله عنه
قال: مرَّ على النبي صلى الله عليه وسلم رجل، فرأى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من جلده ونشاطه ما
أعجبهم، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ
الْإِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ
صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ
الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»^(٢).

وأما أهميتها للمجتمع فيما يلي:

١ - نشوء الأخوة الإسلامية القائمة على المحبة والرحمة بين أفراد
المجتمع، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ
فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ
سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»^(٣). وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
«الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي
حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ،
وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤).

٢ - توحيد المجتمع على قيم ثابتة فتعلوه الصبغة الإسلامية الصحيحة،

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم (٢٧٦)، وحسنه الأرناؤوط.
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٩٨٩)، ومسلم برقم (١٠٠٩).
(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٦).
(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٢)، ومسلم برقم (٢٥٨٠).

وتحافظ على وحدة عقيدته وسلوكه وفق ما يريده الله تعالى، قال أبو سفيان رضي الله عنه جواباً لملك الروم لما سأله عمّا يأمرهم به النبي صلى الله عليه وسلم: «اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واركبوا ما يقول آباؤكم، وبأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصدق، والعفاف، والصلة»^(١).

٣ - تعين المجتمع على مواجهة التحديات التي تطرأ عليه؛ وذلك بإرشاده للخيارات الصحيحة التي ينبغي سلوكها لبقائه واستقراره.

٤ - حماية المجتمع من الأدواء الفكرية والأخلاقية المتنوعة؛ كالأنانية، والظلم، والفخر والخيلاء، وغيرها. قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٥ - بناء منهج اجتماعي متكامل للتعامل بين أفراد المجتمع على وفق ما شرعه الله تعالى دون تعد أو تقصير، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ»^(٢).

العلاقة بين الأخلاق والعقيدة والشريعة:

سبق أن بينت أن دين الإسلام مكوّن من عقائد وشرائع، ويندرج تحت الشرائع: الأحكام والأخلاق، والترابط بينها قوي، فلا يمكن النظر للعقيدة بمعزل عن الأحكام والأخلاق، ولا النظر إلى الأحكام بمعزل عن الاعتقاد

(١) أخرجه البخاري برقم (٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤).

والأخلاق، وكذلك لا يمكن النظر إلى الأخلاق بمعزل عن العقائد والأحكام.

وذلك لأنَّ قدرًا كبيرًا من الشريعة جاء لتنظيم العلاقات والتعاملات بين الناس، وهذا كثير جدًا في المعاملات، والأنكحة والعشرة بين الأزواج، والعلاقة مع الأقارب والجيران، وكذلك العلاقة مع سائر أفراد المجتمع من المسلمين وغير المسلمين.

القول بنسبية الأخلاق:

زعم الفلاسفة القائلون بالنظرية النسبية أنَّ الأخلاق نسبية، فما كان مذمومًا عند قوم قد يكون محمودًا عند آخرين، وما يبغضه شعب يحبه شعب آخر، وما يعتبر منافيًا للأخلاق عند أمة فليس بالضرورة أن يكون منافيًا لها عند كل الأمم، فالأخلاق عندهم مفاهيم تتفق عليها الأمم حسب حاجتهم في كل زمان وليس لها ثبات حقيقي.

وإذا تأملنا جنوحهم إلى هذا الشذوذ الفكري وجدنا أنَّ له سببان:

الأول: تعميم اسم الأخلاق على كل ما يصدر عن الإنسان دون تمييز بين ما هو من الأخلاق حقيقة وما هو من التصرفات الخاصة أو الأخطاء الواقعة، أو الأحكام الدينية التي تختلف فيها الأمم كل بحسب عقيدتهم.

الثاني: اعتمادهم على مدى رضا الناس عن الفعل، فما رضيه الناس أو بعضهم وقبلوه فهو خلق حسن، وما رفضوه فهو خلق سيئ. ولا يخفى ما في هذا من الجنوح عن الوحي، وإقصاء الدين إقصاء تامًّا، إذ لم يجعلوا له علاقة بالأخلاق أبدًا، لا في تحديدها ولا في الموقف منها.

أمَّا الإسلام فإنه قد جعل الضابط لاعتبار الأخلاق حسنة أو قبيحة هو مدى محبة الله لها أو بغضه إيَّها، فما رضيه وشرعه وحث عليه ووعد بالأجر لمن امتثله فهو خلق حسن، وسيبقى حسنًا، وما نهى عنه وحثَّ منه وتوعد عليه فهو سيء وسيبقى سيئًا ما بقي الإسلام والقرآن.

الوحدة الثانية

القيم الإسلامية

تمهيد

يحسن بنا قبل البدء بسرد نماذج من القيم أن نبيّن أنواع القيم في الإسلام، ومن ثمّ نذكر نماذج منها.

أنواع القيم الإسلامية:

تنقسم القيم الإسلامية إلى نوعين رئيسين:

الأول: القيم الإسلامية العليا: وتشمل القضايا الرئيسة التي تحتلّ المرتبة الأولى في عناية الشريعة بها؛ كصحة العقيدة والتعلق بالله تعالى، والعبادة التي هي الغاية من خلق الله للخلائق، والحق الذي أنزلت الكتب لتقريره، والإحسان الذي كتبه الله على كل شيء، والحكمة التي تدفع المسلم لوضع الأمور في مواضعها، والرحمة التي تكفّل الله برحمة أهلها، والصدق الذي يهدي إلى جميع أنواع البر... إلخ.

والثاني: القيم الإسلامية الحضارية: وهي التي تميز المسلم في سلوكه وتصرفاته وتدفعه للقيام بمهمة وجوده في الأرض؛ كالاستخلاف، والمسؤولية، والنظام والانضباط، والنظافة... إلخ.

وفيما يلي نذكر نماذج من كل قسم من أقسام القيم الإسلامية:

النوع الأول

نماذج من القيم الإسلامية العليا

القيمة الأولى: العبادة:

تعريفها: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال

الظاهرة والباطنة^(١) .

وهي الغاية التي خلق الله الثقلين لأجلها، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وهي شاملة لجميع حياة الإنسان وتعاملاته، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢] .

وهذه القيمة قد اتفقت جميع دعوات المرسلين عليها؛ بل هي المقصد الأول من إرسالهم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] . وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ ابْعُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] .
ولا يكون العبد مستحقاً لوصف العبودية إلا بتوفّر أصلين عظيمين: الإخلاص فيها لله تعالى، ومتابعة الرسول ﷺ في فعله .

فترك الإخلاص لله يؤدي إلى صرف العبادة عن مستحقها إلى غيره من: الأنبياء أو الملائكة أو الأولياء أو غيرهم، وهو أعظم الشرك .

وترك المتابعة للنبي ﷺ فيقود إلى الابتداع في الدين، وهو كثير في باب العبادات، حيث ظهرت عبادات لم يأذن الله تعالى بها، ولم يشرعها رسوله ﷺ لأمته، فظهرت بذلك هيئات وصور متعددة للعبادات والأوراد والأذكار، كلها مبتدعة، سواء أكان ذلك في كیفيتها، أو كمّها، أو هيئتها، أو طريقة أدائها، أو زمانها، أو مكانها، وهذه كلّها مردودة على أصحابها؛ لأنها تشريع لم يأذن به الله، ولم يرد عن رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُصِّى بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٢١]، ولقوله ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ»^(٢) .

وبناءً على ما سبق؛ فإنّ كلّ ما ثبت كونه عبادة لله تعالى فصرفه لغير الله

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٠/١٤٩) .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٥٥٠)، ومسلم برقم (١٧١٩) .

شرك به، والله تعالى لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .
والعبادة الحقة هي التي تجمع بين المحبة والخوف والرجاء، فهذه الثلاثة هي محركات القلوب، ولهذا قال من قال من السلف: «من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري (أي: خارجي)؛ ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد»^(١)

وبالعبادة يحصل العبد على السعادة وانسراح الصدر في الدنيا، والأمن والسعادة الأبدية في الآخرة، يقول ابن القيم **رحمته**: «ولا تظن أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤] يختص بيوم المعاد فقط؛ بل هؤلاء في نعيم في دورهم الثلاثة، وهؤلاء في جحيم في دورهم الثلاثة، وأي لذة ونعيم في الدنيا أطيب من برّ القلب، وسلامة الصدر، ومعرفة الربّ تعالى، ومحبته، والعمل على موافقته! وهل عيش في الحقيقة إلا عيش القلب السليم»^(٢).

أقسامها وأنواعها:

لقد جاء الوحي ببيان الأوامر والنواهي التي تعبد الله تعالى بها الناس، وجعل امتثال الأوامر واجتناب النواهي هو مضمون العبادة التي خلقوا لأجلها، وبناءً على هذا؛ فإنّ العبادات تنقسم إلى قسمين، وتحت كل واحد منهما أنواع فيما يلي بيانها:

أولاً: العبادات الفعلية: وهي التي طلب الشرع من الناس امتثالها، سواء كان ذلك الطلب على سبيل الإلزام أو الحث والترغيب دون إلزام بها^(٣).

ثانياً: العبادات التركيبية: وهي التي طلب الشرع تركها واجتنابها، سواء

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٨١).

(٢) الجواب الكافي (ص ٨٤).

(٣) المطلوب فعله على وجه الإلزام: الواجب، وبغير إلزام: المستحب.

كان الطلب على سبيل الإلزام أو مجرد الحث والترغيب فيه ^(١) .
وتحت هذين القسمين تندرج أنواع كثيرة من العبادات، وهي على ما يلي:

- ١ - العبادات القلبية: كتوحيد الله ومحبته والخوف منه ومراقبته والتوكل عليه، والكفر بما يعبد من دونه، وتطهير القلب من التعلق بغيره.
- ٢ - العبادات القولية: كالنطق بالشهادتين، وقراءة القرآن، والذكر، والدعاء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتطهير اللسان من الكذب والغيبة والنميمة، والسخرية والاستهزاء بالمؤمنين.
- ٣ - العبادات البدنية: كالصلاة والصوم، وترك الزنا وشرب الخمر.
- ٤ - العبادات المالية: كالزكاة والنفقة على الأهل والقرابة، وترك السرقة والرشوة والإسراف والتبذير.

تنبيه:

إنَّ من أعظم الانحراف في مفهوم العبادة اليوم حصرها في أركان الإسلام الخمسة، أو في الشعائر التعبدية فقط، وهذا خلل كبير في مفهوم العبادة، فالواجب على كل مسلم أن يعلم أنَّه ما خُلِقَ إلا للعبادة، وأنَّ وقته يجب أن يكون في عبادة، فكل ذلك يجب أن يمارسه الإنسان ونية التعبد لله ﷻ تصاحبه، فيراقب ربه فيها، وينوي بها التقرب إليه تعالى والاستعانة بها على طاعته.

القيمة الثانية: الإحسان:

تعريفه: الإحسان: ضد الإساءة، وهو فعل ما ينبغي فعله من الخير والمعروف ^(٢) .

أنواعه: الإحسان الصادر عن العبد نوعان:

- (١) المطلوب تركه على وجه الإلزام: المحرم، وبغير إلزام: المكروه.
- (٢) المفردات في غريب القرآن (ص ٢٣٦).

الأول: إحسان العبد فيما بينه وبين الله تعالى: وهو الجِدُّ في العبادة وإتقانها ومراقبة الله تعالى فيها، فالإحسان فيها يكون بأن تؤدَّى أداءً صحيحًا، باستكمال شروطها وأركانها، واستيفاء سننها وآدابها، وهذا لا يتم للعبد إلا إذا كان شعوره قويًا بمراقبة الله ﷻ له، حتى كأنه يراه ويشاهده، أو على الأقل يشعر نفسه بأن الله تعالى مطلع عليه، وناظرٌ إليه، فبهذا وحده يمكنه أن يحسن عبادته ويتقنها، فيأتي بها على الوجه المطلوب، وهذا ما أرشد إليه النبي ﷺ جوابًا لسؤال جبريل ﷺ عنه، فقال: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(١). فأراد بالإحسان الإشارة إلى المراقبة وحسن الطاعة، وإتقان العبادة؛ فإنَّ من راقب الله أحسن عمله.

والثاني: إحسان الإنسان فيما بينه وبين الخلق، ببذل المعروف، وتقديم النفع والخير لهم، فيكون للوالدين ببرِّهما في المعروف، وطاعتهما في غير معصية الله، وإيصال الخير إليهما، وكفِّ الأذى عنهما، والدُّعاء والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقيهما.

وهو للأقارب ببرِّهم وصلتهم ورحمتهم والعطف عليهم، وفعل ما يجُمِّل فعله معهم، وترك ما يسيء إليهم. ولليتامى بالمحافظة على أموالهم، وصيانة حقوقهم، وتأديبهم وتربيتهم بالحسنى، والمسح على رؤوسهم ورحمتهم والشفقة عليهم.

وللمساكين بسدِّ جوعهم، وستر عورتهم، وعدم احتقارهم وازدراءهم، وعدم المساس بهم بسوء، وإيصال النَّفْع إليهم بما يستطيع. ولابن السَّبِيل بقضاء حاجته، وسدِّ خلَّتته، ورعاية ماله، وصيانة كرامته، وهدايته إن ضلَّ، وإرشاده إن استرشد.

وهو للخادم بإعطائه أجره قبل أن يجفَّ عرقه، وعدم إلزامه بما لا يلزمه، أو تكليفه بما لا يطيق، وصون كرامته، واحترام شخصيَّته.

(١) سبق تخريجه.

وهو لعموم النَّاس بالتَّلَطُّف معهم في القول، والسماحة في المعاملة، وإرشاد ضالِّهم، وتعليم جاهلهم، والاعتراف بحقوقهم، وإيصال النَّفْع إليهم، وكفِّ الأذى عنهم.

والإحسان يتجاوز البشر إلى الحيوان، ويكون ذلك بإطعامه إن جاع، ومداواته إن مرض، وعدم تكليفه ما لا يطيق، والرَّفْق به عند العمل، وإراحته عند التعب.

وهو في الوظائف والأعمال بإجادتها وإتقان صنعتها وأعمالها ومسؤولياتها، وبتخليص سائر الأعمال من الغش، والتدليس... وهكذا^(١).

قال ابن سعدي **رَحِمَهُ اللهُ**: «الإحسان نوعان: إحسان في عبادة الخالق: بأن يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله يراه. وهو الجِدُّ في القيام بحقوق الله على وجه النَّصْح، والتَّكْمِيل لها، وإحسانٌ في حقوق الخَلْق... وهو بذل جميع المنافع من أيِّ نوع كان، لأيِّ مخلوق يكون»^(٢). وقال الراغب الأصفهاني: «الإحسان: فعل ما ينبغي فعله من المعروف، وهو ضربان: **أحدهما**: الإِنعام على الغير، **والثاني**: الإحسان في فعله وذلك إذا عَلِمَ عِلْمًا محمودًا، وَعَمِلَ عَمَلًا حسنًا»^(٣).

أبرز ثمراته^(٤):

إنَّ لقيمة الإحسان ثمرات يجنيها المحسن في ذاته، وينتفع بها المجتمع من حوله، وفيما يلي بيان أهم الفوائد التي تعود على الفرد والمجتمع من امثالهم لهذه القيمة:

١ - أن الله تعالى يكون في معية المحسن، ومن كان الله معه فإنه لا يخاف بأسًا ولا رهقًا. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ

(١) ينظر: منهاج المسلم (ص١٣١).

(٢) بهجة قلوب الأبرار (ص١٢٧).

(٣) المفردات في غريب القرآن (ص٢٣٦).

(٤) ينظر: نضرة النعيم (٩٠/٢) بتصرف.

مُحْسِنُونَ ﴿١٧٨﴾ [النحل: ١٢٨]. وهذه المعية تكون بعلم الله لحاله وحفظه له ونصرته إياه وخذلان أعدائه.

٢ - نيل محبة الله ﷻ له، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

٣ - قرب المحسن من رحمة الله ﷻ، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

٤ - لبعض أنواع الإحسان ثمار خاصة تعود على المحسن بالخير العميم في الدنيا والآخرة، فمن ذلك:

أ - إحسان الوضوء للصلاة والخشوع فيها وإتمام ركوعها وسجودها يكفر السيئات الماضية، ويستمر تكفير السيئات ما استمر الإحسان، فعن عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ أَمْرٍ مُّسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَّكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وَضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِّمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يَأْتِ كَبِيرَةً وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ»^(١).

ب - الإحسان إلى الجيران علامة صادقة على حسن إسلام المرء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ كُنْ وَرِعًا، تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَكُنْ قَرِيعًا، تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاسِ، وَأَحَبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحْسِنْ جَوَارَ مَنْ جَاوَرَكَ، تَكُنْ مُسْلِمًا، وَأَقْلَّ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ»^(٢).

ج - إحسان المرء في تربية بناته ورزقهن وكسوتهن يجعلهن سترًا له من النار، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءني امرأة معها ابنتان تسألني، فلم تجد عندي غير تمرة واحدة، فأعطيتها، فقسمتها بين ابنتيها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ فحدثته، فقال: «مَنْ ابْتُلِيَ مِنَ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٨).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٥)، وابن ماجه برقم (٤٢١٧) وصححه الألباني.

كُنْ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ^(١) .

كما أنَّ في الإحسان إلى النَّساء القربيات في الكسوة والطعام والخدمة والرعاية وما أشبه ذلك من أنواع القيام بشؤونهنَّ يثمر الترابط الأسري، ويحقق الاستقرار العائلي، الذي هو مقصد كل ربِّ أسرة.

٥ - أنَّ الدَّفْعَ بالتي هي أحسن - وهو أحد صور الإحسان - يقضي على العداوات بين النَّاسِ ويُحيلها صداقة حميمة ومودَّة رحيمة، فتنظفُ بذلك نارَ الفتن وتنتهي أسباب الصِّراعات، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]. أمَّا الدَّفْعُ بالسيئة؛ أي: مقابلة السيئة بمثلها فإنه يؤدي إلى تدهور العلاقات وإشعال نيران الفتن وتفاقم أسباب الصِّراع ويهبط بالنوع البشريِّ إلى حضيض التَّخَلُّفِ ويعرِّض بقاءه لخطر الفناء.

قال الشاعر:

إن كنت تطلبُ رُتبةَ الأشرافِ فعليك بالإحسانِ والإنصافِ
إذا اعتدى خِلٌّ عليك فخلِّه والدَّهرَ فهو له مكافٍ كافٍ

٦ - الإحسان وسيلة لاستمالة القلوب وغرس المحبة والألفة، وإزالة ما في النفوس من الكدر وسوء الفهم وسوء الظنِّ، ونحو ذلك. أحسن إلى النَّاسِ تستعبد قلوبهمُ فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

القيمة الثالثة: الصدق:

تعريفه: لغة: ضد الكذب، وهو مطابقة الحكم للواقع^(٢) .

والصدِّيق: الذي يحقق بفعله ما يقوله بلسانه^(٣) .

والصدِّيقية: كمال الانقياد للرسول ﷺ مع كمال الإخلاص للمُرْسِلِ^(٤) .

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٦٤٩).

(٢) لسان العرب (١٠/١٩٣)، التعريفات (ص ١٧٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٥/٢٧٢).

(٤) مدارج السالكين (٢/٢٧٠).

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩].

أنواعه:

الصدق ثلاثة أنواع:

الأول: الصدق مع الله تعالى، ويكون بالتعلق به والإخلاص له في الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فإذا قام به العبد استحق ولاية الله ونصرته وإجابته لدعوته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض قومه أن يسلفه ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم. فقال الرجل: كفى بالله شهيداً. قال: فأتني بالكفيل. قال: كفى بالله كفيلاً. قال: صدقت. فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر ففضى حاجته، ثم التمس مركباً يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجّله فلم يجد مركباً، فأخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها، ثم أتى بها إلى البحر فقال: اللّهُمَّ إِنَّكَ تعلم أنني كنت تسلفت فلاناً ألف دينار فسألني كفيلاً فقلت: كفى بالله كفيلاً، فرضي بك، وسألني شهيداً فقلت: كفى بالله شهيداً، فرضي بك، وأني جهدت أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإنني أستودعكها. فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف، وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعلّ مركباً قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال فأخذها لأهله حطباً، فلمّا نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار فقال: والله ما زلت جاهدًا في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركباً قبل الذي أتيت فيه. قال: هل كنت بعثت إليّ بشيء؟ قال: أخبرك أنني لم أجد مركباً قبل الذي جئت فيه. قال: فإنّ الله قد أدّى عنك الذي بعثت في الخشبة فانصرف بالألف الدينار راشداً^(١).

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٢٩١).

الثاني: الصدق مع النبي ﷺ، ويكون بصدق الاتباع له، وتطبيق سنته، وامتنال أمره، واجتناب نهيه ﷺ.

الثالث: الصدق مع الناس، ويكون بصدق الأخبار، وحسن التعامل، والنصيحة، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد، والقيام بالحقوق.

ولا تتحقق قيمة الصدق إلا بامتنال الأنواع الثلاثة، ويكون ذلك بالقول والفعل والحال، قال ابن القيم **رحمته** مبيّناً ذلك: «والصدق ثلاثة: قول، وعمل، وحال، فالصدق في الأقوال: استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها. والصدق في الأفعال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة؛ كاستواء الرأس على الجسد. والصدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص، واستفراغ الوسع وبذل الطاقة.

فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق، وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به تكون صدقيته كما فعل أبو بكر **رضي الله عنه**» (١).

وقد حثَّ الله في آيات كثيرة في القرآن الكريم على التحلي بالصدق والعمل به، ومنها قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٣٢، ٣٣].

قال السعدي في تفسير قوله: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾؛ أي: في قوله وعمله، فدخل في ذلك الأنبياء ومن قام مقامهم، ممن صدق فيما قاله عن خبر الله وأحكامه، وفيما فعله من خصال الصدق ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾؛ أي: بالصدق؛ لأنه قد يجيء الإنسان بالصدق، ولكن قد لا يصدق به، بسبب استكباره، أو احتقاره لمن قاله وأتى به، فلا بد في المدح من الصدق

والتصديق، فصدقه يدل على علمه وعدله، وتصديقه يدل على تواضعه وعدم استكباره»^(١).

وقد قيل:

عوّد لسانك قول الخير تحظ به إنّ اللسان لما عوّدت معتاداً
موكلٌ بتقاضى ما سننت له فاختر لنفسك وانظر كيف ترتاد

أبرز ثمراته:

إنّ لقيمة الصدق منزلة عظيمة في الإسلام، ولها ثمار تظهر على أصحابها، ومن أبرز تلك الثمار ما يلي:

١ - سلامة المعتقد: فالاعتقاد الصحيح مبني على التصديق بالحق قولاً وعملاً وحالاً، فيسلم صاحبه من لوثات الشرك، ومظاهر البدعة في الدين.

٢ - الثبات على الحق والاستقامة على الدين، إذ الصدق يدفع صاحبه للتمسك بدينه: عقيدة وشريعة، عبادة ومعاملة، سلوكاً وهدياً؛ فالتزامه بدينه ثابت راسخ غير متذبذب ولا متردد، لا تغويه الشبهات، ولا تغويه الشهوات، ولا تستزله الفتن، ولا تزلزله المحن، يأخذ الدين كلّهُ، لا أن ينتقي منه ما تهواه نفسه ويترك ما لا تريده، عملاً بقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨]. والسلم في الآية: الإسلام.

٣ - طمأنينة النفس واستشعارها للصدق بناء على ما جُبلت من محبة الصدق وأهله، قال النبي ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيْبُكَ، إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طَمَآنِينَةٌ، وَإِنَّ الكَذِبَ رِيْبَةٌ»^(٢). والمقصود الرجوع إلى ما تشعر به القلوب الطاهرة والنفوس الصافية عند الاشتباه، فإنّ نفس المؤمن جُبلت على الطمأنينة إلى الصدق، والنفرة من الكذب^(٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٧٢٤).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٨)، وصححه الألباني.

(٣) ينظر: تطريز رياض الصالحين (ص٥٤).

٤ - حصول البركة في البيع والشراء وسائر المعاملات، فقد قال النبي ﷺ: «الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، - أَوْ قَالَ: حَتَّى يَتَفَرَّقَا - فَإِنْ صَدَقَا وَبَيْنَا بُورَكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَّتْ بَرَكَتُهُمَا»^(١) فاشترط لحصول البركة في المعاملة الصدق والتبيين لما في السلع من العيوب ونحوها مما يحتاج إلى صدق وبيان للطرف الآخر، وأن محققها مترتب على ضدهما وهو الكذب^(٢).

٥ - حُبُّ الصالحين وصحبة الصادقين: فَإِنَّ مِنْ آثَارِ الصَّدَقِ فِي الْقُلُوبِ ضَيْقُهَا مِنْ صَحْبَةِ أَهْلِ الْكُذْبِ وَالْغَفْلَةِ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى مَخَالَطَتِهِمْ إِلَّا لِحُضُورِ مَنْ دِينٍ أَوْ دُنْيَا؛ لِأَنَّ «الْمَرْءَ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»^(٣)، ولهذا أمر الله نبيه ﷺ بصحبة الصالحين وحذره من أهل الغفلة فقال: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، فمجالسة الصالحين نعمة يستعين بها المرء للوصول إلى رضا ربه.

٦ - الوفاء بالعهود والقيام بالحقوق الواجبة على الوجه الأكمل، وذلك أَنَّ الصَّادِقَ التَّزَمَ الصَّدَقَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَهَذِهِ مِنْ أَبْرَزِ مَا يَظْهَرُ فِيهَا امْتِثَالُهُ لِمَا التَّزَمَ بِهِ.

النوع الثاني

نماذج من القيم الإسلامية الحضارية

القيمة الأولى: التفاؤل:

تعريفه: في اللغة: ضد التطير والتشاؤم، والفأل الصالح: الكلمة الحسنة.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٩٧٣)، ومسلم برقم (١٥٣٢).

(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٤/٣١١).

(٣) مسند الإمام أحمد برقم (٨٠١٥)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده جيد.

والفرق بين الفأل والطيرة: أنَّ الطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، وأمَّا الفأل فيكون فيما يحسن وفيما يسوء^(١)، ولكن غلب استعماله في الأمور الحسنة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الفرق بين الفأل والطيرة: أنَّ الفأل من طريق حسن الظن بالله، والطيرة لا تكون إلا في السوء؛ فلذلك كرهت»^(٢).

وفي الاصطلاح: انشراح قلب الإنسان، وإحسانه الظن، وتوقع الخير بما يسمعه من الكلم الصالح الطيب^(٣).

التفاؤل في حياة النبي صلى الله عليه وسلم:

روى أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا عَدُوِّي وَلَا طَيْرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ». قالوا: وما الفأل؟ قال: «كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ»^(٤). وقال الحلبي رحمته الله: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه الفأل؛ لأنَّ التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال»^(٥).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم في حياته العملية أعظم الناس تفاؤلاً وحسن ظن بالله حتى في أحلك الظروف، فمنها: تفاؤله صلى الله عليه وسلم وهو في الغار مع صاحبه أوائل ليالي الهجرة، قال أبو بكر رضي الله عنه: فرفعت رأسي، فإذا أنا بأقدام القوم، فقلت: يا نبي الله لو أنَّ بعضهم طأطأ بصره رأنا، قال: «اسْكُتْ يَا أَبَا بَكْرٍ، ائْتَانِ اللَّهَ تَالِثُهُمَا»^(٦).

وكان صلى الله عليه وسلم يتفاهل بالأسماء الحسنة إذا قيلت له، ومن ذلك أنَّه كان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه، فإذا أعجبه فرح به، ورؤي بشر ذلك في وجهه.

(١) ينظر: لسان العرب (١١/٥١٣).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٠/٢١٥).

(٣) ينظر: نضرة النعيم (٣/١٠٤٦).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٤٤٠)، ومسلم برقم (٢٢٢٤).

(٥) فتح الباري لابن حجر (١٠/٢١٥).

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٧٠٧)، ومسلم (٢٣٨١).

وإذا دخل قرية سأل عن اسمها فإن أعجبها اسمها فرح بها ورؤي بشر ذلك في وجهه^(١)، وتفاؤل باسم سهيل يوم الحديبية^(٢)، وتفاءل برؤية المكاتل والمساحي في أيدي أهل خيبر وهروبهم منه بخراب ديارهم وانتصاره عليهم^(٣). وغير هذا كثير في سيرته ﷺ، مما يدل على أن التفاؤل سنة نبوية يقتدى به فيها، وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

الفرق بين المتفائل والمتشائم:

- ١ - المتفائل يثق بربه ويحسن التوكل عليه مع بذل الجهد لتحقيق المراد، والمتشائم يتواكل، ويتكى على غيره في تحقيق أمانيته.
- ٢ - المتفائل يرى الحياة بألوان الربيع المبهجة، بيد أن المتشائم ينظر إلى الحياة من خلال نظارة سوداء لا يباض فيها.
- ٣ - المتفائل يُوجد ألف سبب لإسعاد نفسه، وطمأنة سريرته، والمتشائم يصنع ألف عثرة في طريقه؛ فيكثر تردده وخوفه.
- ٤ - المتفائل روحه وقادة نشطة، يرى الخير ويعمل جادًا للحصول عليه، أمّا المتشائم فكسول لا يرى إلا فصول الحياة السلبية.
- ٥ - المتفائل أقل عرضة للأمراض، وأكثر حظًا بالسعادة، والمتشائم أكثر عرضة للأمراض، وأقل نصيبًا من السرور؛ لأنه يكتئب سريعًا، ويرى لون الحياة باهتًا.

أبرز ثمراته^(٤):

- إنَّ للتفاؤل ثمرات يجنيها كل شخص متفائل، ومن أبرزها:
- ١ - حسن الظن بالله تعالى، وهو من أعظم أعمال القلوب.

(١) أخرجه أبو داود برقم (٣٩٢٠)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٧٣٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦١٠) ومسلم برقم (١٣٦٥).

(٤) ينظر: نضرة النعيم (١٠٤٩/٣).

- ٢ - يجلب السعادة إلى النفس والقلب، فيذوقا لذة الحياة وطمأنينة الفؤاد.
 كن بلسماً إن صار دهرك أرقماً وحلاوةً إن صار غيرك علقماً
- ٣ - ترويح للمؤمن وسرور له .
- ٤ - تقوية العزائم، والإعانة على الظفر، والبعث على الجد.
- ٥ - الاقتداء بالسنة المطهرة وأخذ الأسوة الحسنة من المصطفى ﷺ حيث كان يتفاءل في حياته وحروبه وغزواته .

القيمة الثانية: النظام والانضباط:

التعريف: النظام هو الأوامر والنواهي والإرشادات التي تحدد طريقة العمل في كل ما ينبغي ترتيبه وإنجازه^(١).

أمّا الانضباط فهو: التزام نظام واحد لا يفارقه في كل شيء^(٢).

إنَّ الله تعالى خلق الكون وفق نظام معيّن، فلا يمكن أن يخرج أي مكونٍ من مكوناته عمّا هو مرسومٌ له؛ لأنّه بذلك سيؤدي لانهايار الكون؛ فالليل لا يمكن أن يسبق النهار، ولا الشمس تدرك القمر، قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

وقد حدّد الله تعالى للشعائر التعبدية صفات، ورتّب لها شروطًا وواجبات وسُننًا تربي المسلم على النظام والانضباط، ومن تلك الإرشادات ما شرعه الله عند أداء الصلاة وجعلها خلف إمام يأتّم الناس به ويتابعونه في أفعاله، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَلَا تَخْتَلِفُوا عَلَيْهِ، فَإِذَا رَكَعَ، فَارْكَعُوا، وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وَإِذَا صَلَّى جَالِسًا، فَصَلُّوا جُلُوسًا أَجْمَعُونَ، وَأَقِيمُوا الصَّفَّ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّ إِقَامَةَ الصَّفِّ مِنْ حُسْنِ

(١) ينظر: معجم لغة الفقهاء (ص ٤٨٢)، تاج العروس (٣٣/ ٤٩٧).

(٢) ينظر: لسان العرب (٧/ ٣٤٠).

الصَّلَاةِ^(١) كان النبي ﷺ يمسح مناكب أصحابه في الصلاة ويقول: «اسْتَوْوا وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ لِيَلِينِي مِنْكُمْ أَوْلُو الْأَحْلَامِ وَالنَّهْيِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»^(٢).

ونظّم الإسلام العلاقات الاجتماعية بين الناس في الزيارات والدخول عليهم والخروج فقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ [النور: ٥٨، ٥٩].

وهذا يوحى لنا أنه ينبغي للمسلم أن يسعى لتكون حياته كلها منظّمة في جميع جوانبها؛ ليتحقق فيه مقصود الشرع في جعله متميزاً عن سائر البشرية.

جوانب النظام والانضباط:

يطلب النظام والانضباط من المسلم في ثلاثة جوانب رئيسة:

الأول: النظام والانضباط في القيام بالتكاليف الشرعية:

يظهر انضباط المسلم بالأوامر والنواهي الشرعية في جوانب من حياته، من أبرزها:

١ - العناية بصحة العقيدة، فيتعلّم ما يجب اعتقاده ويحذر من كل ما يقدر في الاعتقاد الصحيح من صور الشرك وخصال البدعة.

٢ - الانضباط في أداء العبادات على وجهها الشرعي، فيصلي الصلوات المفروضة والنوافل المستحبة محققاً شروطها ومؤدياً أركانها

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٨٩)، ومسلم برقم (٤١٤).

(٢) أخرجه ابن حبان برقم (٢١٧٢)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وواجباتها وسُننها. ويفعل ذلك في كل عباداته من زكاة وصيام وحج وغيرها... إلخ.

ولا يمكن أن يُعد المسلم منضبطًا منظمًا ما لم يلتزم بعباداته التي خلقه الله تعالى لأجلها.

الثاني: النظام والانضباط في الحياة الشخصية:

ويظهر انضباط المسلم والتزامه بالنظام في حياته الشخصية في جوانب،
منها:

١ - الانضباط في أداء المهام الدراسية أو الوظيفية على الوجه المطلوب الذي تحدده الأنظمة المرعية في كل دائرة من دوائر المسؤولية.

٢ - الالتزام بالمواعيد والاهتمام بقيمة الوقت: هذا من شأنه أن يرفع الفرد إلى أعلى المراتب؛ فالموظف الملتزم بتسليم عمله في الوقت المحدد، والحضور والانصراف وفق النظام المعلن، يرتقي ويصبح موظفًا مثاليًا وذو ثقة من رؤسائه، كما أنه يحقق على المستوى الشخصي ثقة من جانب زملائه.

٣ - التدبير المالي الصحيح الذي يعين الإنسان في استثمار جميع وجوه الكسب الممكنة، وتحسين مستوى دخله، ثم ينظم ذلك فيجعله أقسامًا: فقسم للصرف اليومي أو الشهري، وآخر للصدقة والتقرب إلى الله تعالى، وثالث للادخار المستقبلي، ثم ينضبط في التزامه بذلك، والذي بدوره يجعل الفرد بعيدًا عن التبذير أو البخل، فيجد دخله منظمًا، وأنه بإذن الله في مأمن من المفاجآت والكوارث التي يعجز عن التصرف فيها.

٤ - تنظيم وقت النوم والاستيقاظ، فإن ذلك كفيلاً بالمساعدة على تنظيم سائر الجوانب في حياة المسلم.

٥ - تنظيم الأكل والشرب في أوقاته وكمياته، فإن النبي ﷺ بيّن أن نصيب الطعام من بطن الإنسان الثلث، وأمّا الثلثان الآخران فللشرب والنفس.

الثالث: النظام والانضباط في المسؤوليات الاجتماعية:

يظهر التزام المسلم بمسؤولياته الاجتماعية فيما يلي:

١ - أداء الواجبات الاجتماعية التي كُلف بها قبل مطالبته بالحقوق التي له، فيؤدي حقَّ الوالدين والأولاد والزوجة، والأقارب، والجيران... إلخ، ويكون ذلك رجاء الثواب من الله وليس لأجل المصالح الدنيوية، فإن قوبل بمثل فعله فليحمد الله، وإن لم يعط حَقَّهُ فيطلبه من الله تعالى مع استمراره في أداء ما أوجب الله عليه.

٢ - احترام القوانين والأنظمة الاجتماعية التي لا تخالف الشرع: وذلك لأنها لم توضع إلا لتنظيم حياة الناس ومنع تعدي بعضهم على بعض؛ كأنظمة السير، والأنظمة الإدارية، والتعليمية والوظيفية... إلخ.

٣ - العدل عند تطبيق القوانين، لكي يتحقق مقصود النظام، فيشعر كل فرد أنه مسؤول بصورة أو بأخرى عن هذا الجزء من المجتمع، وأنَّ النظام عادل، وأنه يطبق على الجميع دون استثناء، فلا تشعر طبقة أو عرق أو فئة أنَّ النظام لا يُطبَّق إلا عليه، فيرى نفسه منبوذًا لا ينتمي للمجتمع، فيدفعه ذلك للمخالفة، والتخريب، والعشوائية، وعدم المبالاة، فينهار المجتمع ويتأخر.

أبرز ثمرات الالتزام بالنظام والانضباط^(١):

- ١ - دليل الالتزام بأحكام الشَّرع.
- ٢ - إمكان القيام بالأعمال الكثيرة في الأوقات القليلة.
- ٣ - القيام بالأعباء على قدر التَّحمُّل والإمكانات.
- ٤ - التزام النَّظام يبعد الشَّيطان ويجلب البركة.
- ٥ - النَّظام يحفظ أمر الجماعة وبقائها من الاختلاف والتفرُّق ويؤدِّي إلى المحبة والألفة.

(١) نضرة النعيم (١/٨/٣٥١٤).

٦ - النظام يوطد أركان الأسرة ويدعم العلاقات الاجتماعية، ويعد الشحاء والتباغض .

القيمة الثالثة: النظافة^(١):

تعريفها: النظافة هي: الحُسن والبهاء والتنقية من الدنس^(٢)، والتنظف: عَسَلُ الوَسَخِ والدَّرَنِ والدَّنَسِ^(٣).

فالنظافة والطهارة تمثلان سلوكًا دينيًا، ودليلاً حضاريًا متقدمًا، فلا تنفكان أبدًا عن مسيرة تطور البشرية وسعيها نحو الأفضل؛ لذا لم يكن غريبًا أن يبلغ اهتمام الإسلام بهذا الأمر حتى جعل الطهارة شرطًا في قبول العبادة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ»^(٤)، كما جعل النظافة دليلاً على الإيمان ﴿لَا نَقُومُ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]، وبهذا يتبين حرص الإسلام على هذه القيمة في كل تفاصيل الحياة.

أنواعها:

تأتي النظافة على نوعين:

الأول: النظافة الشخصية:

النظافة الشخصية مهمة في الإسلام؛ لأنَّ الطهارة الظاهرة شرط لتحقيق الطهارة الباطنة، لذلك فالشريعة الإسلامية تركّز على الطهارة والنظافة الشخصية، ويتجلّى ذلك في تطبيقات النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته إلى الاهتمام بها دون غلو أو تكلف، ويمكن تلخيص ذلك فيما يلي:

(١) ينظر: بحث للأستاذ: جمال أحمد نجم، بمركز أبحاث الدين والفضيلة، والمنشور في موقع:

<http://www.hablullah.com/?p=1948>

(٢) المصباح المنير (ص٣١٥)، وتاج العروس (٢٤/٤٢٤).

(٣) تهذيب اللغة (١٤/٢٩٧).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٦٥٥٤).

١ - **نظافة الجسم**: وذلك بالحرص على سلامته من الأقدار والنجاسات، والمبادرة إلى إزالتها إذا أصيب الجسم بشيء منها، فقد نبه النبي ﷺ إلى ضرورة الاغتسال ولو مرة في الأسبوع بقوله: «حَقَّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا، يَغْسِلُ فِيهِ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ»^(١)، والحديث فيه تأكيد لقوله تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوْا زَيْتُوْكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ ﴿٣١﴾ [الأعراف: ٣١]. فلا ينبغي أن يمر على المسلم أسبوع دون غسل، لقوله ﷺ: «مَنْ جَاءَ مِنْكُمْ الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ»^(٢)، وقوله: «غُسْلُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ»^(٣).

٢ - **إكرام الشعر**: وذلك بالحرص على مظهره بترجيله والمحافظة عليه، فقد كان النبي ﷺ يحرص على ترجيل شعره ودهنه، ويوجه أصحابه لذلك، فعن جابر رضي الله عنه قال: أتانا رسول الله ﷺ زائراً في منزلنا فرأى رجلاً شعثاً فقال: «أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَا يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ»^(٤).

٣ - **التطيب**: أي: استخدام الطيب (العطر) وخاصة عند ملاقاته الناس في المساجد والمجالس، فعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طَهْرٍ، وَيَدْهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كَتَبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الْإِمَامُ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى»^(٥).

٤ - **تجنب الأطعمة ذات الرائحة المؤذية**: ينبغي تجنب هذه الأطعمة عند إرادة الاجتماع بالناس وخاصة في المساجد، فقد جاء نهى من أكل الثوم أو البصل وما شابههما أن يأتي المسجد، فقال ﷺ: «مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٥٦)، ومسلم برقم (٨٤٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٥٤)، ومسلم برقم (٨٤٤).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٨٣٩).

(٤) أخرجه ابن حبان برقم (٥٤٨٣)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط

البخاري.

(٥) أخرجه البخاري برقم (٨٤٣).

وَالْكُرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَى مِمَّا يَتَأَذَى مِنْهُ بَنُو آدَمَ»^(١)، وليس المقصود من النهي تحريم أكلها؛ وإنما الحرص على عدم تناولها عند إرادة الاجتماع بالناس، ويوضح هذا قوله ﷺ في حديث آخر: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبُقْلَةِ - الثوم - فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسَاجِدَنَا، حَتَّى يَذْهَبَ رِيحُهَا»^(٢).

٥ - نظافة الأسنان: فقد كان النبي ﷺ يظهر حرصًا خاصًا بنظافتها في كل الأوقات، ويتأكد ذلك عند الصلاة، قال ﷺ: «السَّوَاكُ مَطَهْرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاءٌ لِلرَّبِّ»^(٣)، وقال: «لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَيَّ أُمَّتِي أَوْ عَلَيَّ النَّاسَ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ»^(٤). وقال: «لَقَدْ أَمَرْتُ بِالسَّوَاكِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيَنْزِلُ بِهِ عَلَيَّ قُرْآنٌ، أَوْ وَحْيٌ»^(٥). والسُّنَّةُ تحصل بالاستيائك بكل عود لين طيب الطعم والرائحة، كما تحصل باستعمال الفرشاة والمعجون، مع التأكيد على فوائد استخدام عود الأراك خاصة؛ لما له من آثار صحية على الفم بشكل عام، والأسنان واللثة بشكل خاص.

٦ - قص الأظفار وحلق العانة ونتف الإبط: وهي من سنن الفطرة كما ورد في عدد من الروايات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: الْخِتَانُ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَنَتْفُ الْإِبْطِ، وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ، وَأَخْذُ الشَّارِبِ»^(٦)، وينبغي للمسلم أن يداوم على تطبيق هذه السنن ولا يتركها لوقت طويل، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «وَقَّتْ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي قِصِّ الشَّارِبِ وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ وَحَلْقِ الْعَانَةِ وَنَتْفِ الْإِبْطِ أَنْ لَا تَتْرُكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»^(٧).

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٦٤).

(٢) المصدر نفسه برقم (٥٦١).

(٣) أخرجه ابن حبان برقم (١٠٦٧)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده جيد.

(٤) أخرجه البخاري برقم (٨٤٣).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم (٢٨٩٥)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره وهذا إسناده ضعيف.

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٥٥٠)، ومسلم برقم (٢٥٧).

(٧) أخرجه أبو داود برقم (٤٢٠٠)، وصححه الألباني.

٧ - **نظافة الثياب:** إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ خَلَقَ لَهُ مَا يَصْنَعُ مِنْهُ ثِيَابًا يَسْتَرُ بِهَا عَوْرَتَهُ وَيَجْمَلُ مَظْهَرَهُ، وَيَتَّقِي بِهَا الْحَرَّ وَالْبَرْدَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤَرِّى سَوْءَ تَكْمٍ وَرِدِيًّا وَرِبَاسًا الْقَوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأعراف: ٢٦]، فاللباس للإنسان كالريش للطير، فاكتمال ريش الطائر يجمله ويحميه، وكذلك اللباس.

ويزداد التأكيد على نظافة الثياب عند الاجتماع للصلوات والولائم والمجالس العامة، فقد جاء في الحديث عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول على المنبر يوم الجمعة: «مَا عَلَى أَحَدِكُمْ إِنْ وَجَدَ - أَوْ: مَا عَلَى أَحَدِكُمْ إِنْ وَجَدْتُمْ - أَنْ يَتَّخِذَ ثَوْبَيْنِ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، سِوَى ثَوْبَيْ مِهْنَتِهِ» (١). وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً عليه ثياب وسخة، فقال: «أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَا يَغْسِلُ بِهِ ثَوْبَهُ» (٢).

ثانياً: النظافة العامة:

كما حرص الإسلام على النظافة الشخصية فقد حثَّ على النظافة العامة والمحافظة عليها، حيث وجدنا العديد من الأحكام الشرعية والتوجيهات للمحافظة على الأماكن الخاصة والعامة ومن ذلك:

١ - **نظافة المسكن:** إِنَّ مَنْزَلَ الْإِنْسَانِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ نَظِيْفًا طَاهِرًا مِنْ الْأَوْسَاحِ وَالنَّجَاسَاتِ وَكُلِّ مَا يَنْفُرُ النَّاسَ مِنْ دُخُولِهِ، وَأَيْضًا فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ لِلصَّلَاةِ فِي الْبَيْتِ، وَهِيَ لَا تَصِحُّ إِلَّا فِي مَكَانٍ طَاهِرٍ. بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَنَّ نَظَافَةَ الْمَسْكَنِ عُنْوَانُ رَقِي أَهْلِهِ وَتَحْضَرُهُمْ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ مَشَاهِدٌ.

٢ - **نظافة الطرق والأماكن العامة:** نظافة الطرق والساحات العامة دليل على رقي أهل البلد، وتعرف سمات المجتمع الخُلُقِيَّة من نظافة الطرق

(١) أخرجه أبو داود برقم (١٠٧٨)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه ابن حبان برقم (٥٤٨٣)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري.

والساحات؛ فنظافتها أبهج للنفس وأنقى للمتنفس وأدعى للاحترام. وقد حذر النبي ﷺ من التسبب في إيذاء الطريق أو الأماكن العامة التي يقصدها الناس للاستئصال والراحة بقوله: «اتَّقُوا اللَّعَّائِينَ» قَالُوا: وَمَا اللَّاعِنَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ ظِلِّهِمْ»^(١)، وورد تأكيد ذلك في حديث آخر حيث قال ﷺ: «اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَةَ: الْبِرَّازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةَ الطَّرِيقِ، وَالظِّلَّ»^(٢).

٣ - إزالة الأذى الطاري على المرافق العامة: إنَّه لا يخلو أن تتسخ المرافق العامة والطرقات بأي سبب كان، وقد وجه النبي ﷺ إلى إزالة الأذى عن الطريق، واعتبر ذلك من أبواب الخير، فقال: «يُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»^(٣)، وأكد هذه الفضيلة حين عدّها من شعب الإيمان فقال: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةٌ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»^(٤).

وإمطة الأذى عن الطريق من محاسن الأعمال فعن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ، لَا تُدْفَنُ»^(٥)، وقد كانت أرض المسجد في زمن النبي ﷺ من التراب والدفن فيها ممكن، أمّا اليوم فالمساجد مفروشة ولا يمكن تصور ذلك. كما لا ينبغي البصاق في الطرقات والأماكن العامة لأنَّه لا مجال للدفن فيها لكون الطرقات والساحات معبدة أو مرصوفة؛ ولأنَّه يؤدي إلى إيذاء الناس، فرحم الله من تجنب ذلك.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩).

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٢٦)، وحسنه الألباني.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٨٢٧)، ومسلم برقم (١٠٠٩).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٣٥).

(٥) المصدر نفسه برقم (٥٥٣).

وبهذا يُعلم أن من يطرح الشوك في الطريق والحجارة والكناسة والمياه المفسدة وكل ما يؤدي الناس تُخشى عليه العقوبة في الدنيا والآخرة، ولا شك أن رفع الأذى عن الطريق من أعمال البر التي تكفر السيئات وتوجب الغفران، ولا ينبغي للعاقل أن يحقر شيئاً من البر.

أبرز ثمارها:

١ - نيل محبة الله تعالى، وكفى بها ثمرة: فمن يحرص على الطهارة بشقيها المادي والمعنوي يستحق محبة الله تعالى؛ فالأمر بالغسل والوضوء سبيل لتحقيق غرض الإسلام بأن يعيش الإنسان طاهراً بنفسه وجسده وبيئته. وقد امتدح الله ﷻ أهل قباء، وجعل حرصهم على الطهارة والنظافة سبباً في حبه لهم؛ فقال: ﴿لَا نَقَمُ فِيهِ أَبَدًا لَمَسَّجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]، قال البغوي في تفسيره: «أي: يتطهرون من الأحداث والجنابات والنجاسات. وقال عطاء: كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على الجنابة»^(١).

٢ - غفران الذنوب وتكفير الخطايا: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَذَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ»^(٢).

٣ - دخول الجنة: فقد ورد أن المحافظة على النظافة العامة سبب لدخول الجنة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ، فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَأَنَّهُ تُوذِي النَّاسَ»^(٣).

٤ - كسب محبة الناس: ألا ترى أن الناس ينجذبون للتنظيف من كل شيء وينفرون من القذارة؟ وهذا عام في الأفراد والمؤسسات والمطاعم والفنادق، حتى الدول والبلدان، فرغبة الناس تتجه دائماً نحو الأنظف الأطيب.

(١) معالم التنزيل (٩٦/٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٢٤)، ومسلم برقم (١٩١٤).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٩١٤).

الوحدة الثالثة

الأخلاق الإسلامية

إنَّ الأخلاق التي حثَّ عليها الإسلام كثيرة، وجوانب تطبيقها وامثالها في حياة المسلم متعددة، وسأذكر هنا نماذج من الأخلاق الحسنة التي أمر بها الشرع وحثَّ عليها، ومنها ما يلي:

الخلق الأول: الصبر:

الصبر في اللغة: الحبس، فيقال: صبرت الدابة إذا حبستها^(١). ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وأما في الاصطلاح فهو: حبس العبد نفسه على فعل ما يحبه الله، وترك ما يبغضه، والاستسلام لما يقضيه ويقدره.

وقد ذكر الله تعالى الصبر في مواضع كثيرة، ونوع الفضل والجزاء المترتب عليه، فأمر به، وأثنى على أهله، وأوجب على نفسه محبتهم، وحكم بمعيتهم لهم، وجعل جزاءهم بأحسن أعمالهم، وجعل البشري لهم مطلقة بلا تقييد، وأخبر أن أهل الصبر هم أهل العزائم، وأنهم المؤهلون للإمامة في الدين.

وقال ابن القيم **رحمته** بعد ذكره لجملة مما ذكره الله في كتابه عن الصبر: «ولهذا كان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له؛ كما أنه لا جسد لمن لا رأس له»^(٢).

(١) ينظر: لسان العرب (٤/٤٣٧).

(٢) مدارج السالكين (٢/١٥٥).

أنواع الصبر:

الصبر ثلاثة أنواع:

الأول: الصبر على القيام بطاعة الله:

النفوس البشرية تحب الدعة والركون إلى الراحة، والطاعات تحتاج بذل أقصى الجهد في الامتثال؛ لأنها تُطلب من العبد في أوقات محددة، وصفات وهيئات معينة، فإن لم تُفعل في وقتها، ولم تؤدَّ على صفتها لم يقبلها الله تعالى؛ فالصلاة تنقل على النفوس؛ لأنَّ من طبيعتها الكسل وإيثار الراحة سيما إذا اتفق مع ذلك قسوة القلب، وغلبة الذنب، والميل إلى الشهوات، ومخالطة أهل الغفلة، فلا يكاد العبد مع هذه الأمور وغيرها أن يصلي، وإن صَلَّى مع ذلك كان متكلفًا، غائب القلب، ذاهلاً عنها، فرحًا بفراقها.

والزكاة تعارض طبيعة النفوس؛ لأنَّ من طبيعتها الشح والبخل لذا تنفر عنها، وكذلك الحج والجهاد تنفر عنهما النفوس لمحبتها للراحة والدعة، فيحتاج العبد إلى الصبر في هذا كله. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ»^(١). والمعنى: إنَّه لا يُوصل إلى الجنة إلا بارتكاب ما تكرهه النفوس مما يخالف هواها.

والصبر على القيام بالطاعات أفضل أنواع الصبر، قال ابن القيم رحمته الله نقلًا عن شيخه ابن تيمية رحمته الله: «الصبر على أداء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات وأفضل؛ فإنَّ مصلحة فعل الطاعة أحبُّ إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية، ومفسدة عدم الطاعة أبغض إليه وأكره من مفسدة وجود المعصية»^(٢).

الثاني: الصبر عن الوقوع في معصية الله:

ورد في الحديث السابق أنَّ النَّارَ محجوبة بالشهوات، فمن اتَّبِعَ هواه

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٤٨٧).

(٢) مدارج السالكين (١٥٦/٢).

وسعى في تحصيل شهواته أو شكت أن توقعه في النار، ومن كبح جماحها وألزمها طاعة ربها فاز بالجنة وذلك هو الفوز العظيم. قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه: «حُفَّت الجنة بالمكاره وأنت تكرهها، وحفت النار بالشهوات وأنت تطلبها، فما أنت إلا كالمريض الشديد الداء إن صبر نفسه على مضض الدواء اكتسب بالصبر عافية، وإن جزعت نفسه مما يلقي طالت به علة الضنا».

وإن النفوس البشرية مجبولة على الميل إلى ما يشبع شهوتها من استمتاع الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل، إلا أن الله تعالى لم يجعل سبيلاً صحيحاً لهذه العلاقة إلا النكاح أو ملك اليمين، وما عداهما مع تيسره وكثرة دواعيه محرم، والمؤمن يحتاج إلى الصبر لكبح جماح نفسه وإلا أغضب ربه تعالى.

وإطلاق اللسان في الناس ثلباً وقدحاً وسخرية واستهزاء أمر محبوب إلى كثير من النفوس، إلا أن المؤمن يمنع نفسه ويحبسها عن النيل من الأعراس، وهذا من أشد أنواع الصبر.

ولما لهذين الأمرين من الخطورة البالغة والدوافع الداخلية القوية جعل الله جزاء الصابر فيهما عظيماً، فقد روى سهل بن سعد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ» (١).

الثالث: الصبر على ما يُصاب به من الأقدار المؤلمة:

العبد في الدنيا معرض للابتلاء، قال الله تعالى: ﴿وَنَبِّؤُكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ومن الابتلاء مصائب الدنيا والأقدار المؤلمة التي يجريها الله تعالى على عباده، وهي متنوعة: في النفس كالمرض والموت، وفي المال كالخسارة والتلف، وفي المجتمع كالظلم وتسلط الأعداء والحروب وانعدام الأمن، وفي الكون كالزلازل والبراكين والفيضانات التي تهلك الحرث والنسل، وفيها جميعاً يُطلب الصبر.

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٤٧٦).

وقد ذكر الله تعالى أصول المصائب التي يصيب بها الناس، فقال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٥٥]، وبشّر من صبر عليها بالعاقبة الحسنة، ودلّهم على ما ينبغي عليهم قوله مع صبرهم على أقداره فقال: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

ولقد صار الصبر أصلاً من أصول الأخلاق الحسنة لأنه يحمل صاحبه على جملة طيبة من الأخلاق الفاضلة؛ كاحتمال الأذى، وكظم الغيظ، وكف الأذى عن الناس، والحلم عن السفية، والأناة والسكينة والرفق وعدم الطيش والعجلة، ولهذا أمر الله به جميع الأنبياء فقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

الخلق الثاني: العفة:

العفة في اللغة: مصدر من عَفَّ الثلاثي، بمعنى: كَفَّ، فيقال: عَفَّ عن الحرام؛ أي: كَفَّ عنه^(١).

وفي الاصطلاح: الكفُّ عَمَّا لا يحسن ارتكابه من الأقوال والأفعال.

لقد أثنى الله تعالى على الفقراء الذين لا يسألون الناس شيئاً فقال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْأَلُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعَرَّفَهُمْ بِسِمَتِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾ [البقرة: ٢٧٣].

وأمر تعالى بالعفة كل من لا يستطيع النكاح: ﴿وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣]، ورغب النساء الكبيرات اللاتي لا يرغبن النكاح أن يستعففن وأنه خير لهن من وضع ثيابهن فقال: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ

(١) ينظر: لسان العرب (٩/٢٥٣).

مُتَبَرِّحَتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ [النور: ٦٠].

ولفضل العفة تكفل الله تعالى بإعانة من يريد العفاف، فقد ثبت في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ حَقَّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ: الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْمُكَاتِبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ، وَالنَّائِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ»^(١).

قال أبو العلاء المباركفوري: «والنائح الذي يريد العفاف»؛ أي: العفة من الزنى. قال الطيبي: إنما آثر هذه الصيغة إيداناً بأن هذه الأمور من الأمور الشاقة التي تفدح الإنسان وتقضم ظهره؛ لولا أن الله تعالى يعينه عليها لا يقوم بها، وأصعبها العفاف؛ لأنه قمع الشهوة الجبلية المركوزة فيه، وهي مقتضى البهيمية النازلة في أسفل السافلين، فإذا استعفف وتداركه عون الله تعالى ترقى إلى منزلة الملائكة وأعلى عليين»^(٢).

وقال الفاروق رضي الله عنه: «المروءة مروءتان: مروءة ظاهرة ومروءة باطنة، فالمروءة الظاهرة الرياش - حسن الملبس -، والمروءة الباطنة: العفاف».

أنواع العفة:

العفة المطلوبة في الشرع على أربعة أنواع:

الأول: كفُّ اللسان عن أعراض الناس.

الثاني: حفظ السمع عن المحرمات.

الثالث: غض البصر عن الحرام.

الرابع: كفُّ اليد عن الاعتداء.

قال الراغب الأصفهاني: «ولا يكون الإنسان تامَّ العفة حتى يكون عفيف اليد واللسان والسمع والبصر. فمن عَدَمِهَا في اللسان: السخرية والتجسس والغيبة والهمز والنميمة والتنايز بالألقاب، ومن عَدَمِهَا في البصر: مدُّ العين

(١) أخرجه الترمذي برقم (١٦٥٥)، وحسنه الألباني.

(٢) تحفة الأحوذى (٥/٢٤٢).

إلى المحارم وزينة الحياة الدنيا المولدة للشهوات الرديئة. ومن عَدَمِها في السمع: الإصغاء إلى المسموعات القبيحة. وعماد عَفَّةِ الجوارح كُلِّها أن لا يطلقها صاحبها في شيء مما يختص بكل واحد منها إلا فيما يسوِّغه العقل والشرع دون الشهوة والهوى»^(١).

وإنما صارت العفة أصلاً من أصول الأخلاق الفاضلة لأنها تحمّل العفيف على اجتناب الرذائل والقبايح من الأقوال والأفعال، وتجمِّله بالحياة الذي هو رأس كل خير، وتمنعه عن الفحشاء، والبخل، والكذب، والغيبة، والنميمة.

أبرز الصوارف عن العفة:

لا ينال العفة إلا من كان قوياً على ضبط نفسه، بحيث لا يُعَرِّضُها لمواطن الزلل، إذ لا يأمن انحرافها مع تيار الشهوات، وإنَّ الصوارف عن العفة كثيرة وقوية سيما في هذا الزمن الذي كثرت فيه الشبهات والشهوات فأبعدت بعض المسلمين عن التمسك بالشرعية، وانخرطوا متأثرين بما اطلعوا عليه من الثقافات المخالفة لما نشؤوا عليه من المعاني الإسلامية الأصيلة، وفيما يلي ذكر لأبرز الصوارف عن العفة في العصر الحاضر:

١ - الاختلاط بين الرجال والنساء:

إنَّ من أشدَّ ما دهم المسلمين من الثقافات الأخرى رفع الحجاب بين الجنسين، واختلاطهم في أماكن الدراسة ومواقع العمل حتى أصبح العفيف يعاني أشدَّ المعاناة في الحفاظ على عَفَّتِهِ والبقاء بعيداً عن إنشاء العلاقات مع الطرف الآخر.

٢ - وسائل الإعلام غير المحافظة:

إنَّ كثيراً من وسائل الإعلام في العالم تمارس دوراً مشيناً في محاربة العفة والاحتشام والمحافظة على الخصوصية، وإنها لتبتُّ آلاف المشاهد

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص ٢٢٤).

والأفلام والصور التي توهم جدار العفاف والحشمة يوماً بعد يوم، ولا يسلم من هذا الانحراف الإعلامي إلا النزر اليسير المحافظ على الثوابت والقيم الإسلامية.

٣ - التبرج والسفور:

لقد أوجب الله تعالى على المرأة المسلمة الحجاب الذي يسترها فلا يرى الأجانب شيئاً من جمالها وزينتها، فإذا هي تركت الحجاب أو تخففت منه واستشرفت للناس كانت داعية لهم من حيث تعلم أو لا تعلم إلى الافتتان بها والسعي للوقوع في الفواحش بسببها، وهي أيضاً لا تسلم من الانحراف فتدنس عفافها وربما تحمل العار الذي لا يفارقها طول حياتها.

وقد قال الله تعالى في بيان الآداب الواجبة على المرأة: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الذَّيْبِ لَمْ يَطْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَنُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ [النور: ٣١].

قال ابن تيمية **رحمته الله**: «فأمر الله سبحانه الرجال والنساء بالغض من البصر وحفظ الفرج، كما أمرهم جميعاً بالتوبة، وأمر النساء خصوصاً بالاستتار، وألاً يبدين زينتهن إلا لبعولتهن ومن استثناه الله تعالى في الآية، فما ظهر من الزينة هو الثياب الظاهرة، فهذا لا جناح عليها في إبدائها إذا لم يكن في ذلك محذور آخر، فإن هذه لا بد من إبدائها، وأمر سبحانه النساء بإرخاء الجلابيب لئلا يعرفن ولا يؤذين، وقد ذكر عبدة السلماني وغيره **رحمته الله** أن نساء المؤمنين كن يدين عليهن الجلابيب من فوق رؤوسهن حتى لا يظهر إلا عيونهن لأجل رؤية الطريق، وثبت في الصحيح أن المرأة المحرمة تُنهى عن الانتقاب والقفازين، وهذا مما يدل على أن النقاب والقفازين كانا معروفين في النساء

اللاتي لم يُحرمن، وذلك يقتضي ستر وجوههن وأيديهن. وقد نهى الله تعالى عمَّا يُوجب العلم بالزينة الخفية بالسمع أو غيره، فقال: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾، وقال: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾، فلما نزل ذلك عمد نساء المؤمنين إلى خمرهن فشققنهن وأرخينها على أعناقهن. والجيب: هو شقُّ في طول القميص، فإذا ضربت المرأة بالخمار على الجيب سترت عنقها، وأمرت بعد ذلك أن ترخي من جلبابها، والإرخاء إنما يكون إذا خرجت من البيت، فأما إذا كانت في البيت فلا تؤمر بذلك، وقد ثبت في الصحيح: أن النبي ﷺ لما دخل بصفية قال أصحابه: إن أرخى عليها الحجاب فهي من أمهات المؤمنين، وإن لم يضرب عليها الحجاب فهي مما ملكت يمينه، فضرب عليها الحجاب، وإنما ضُرب الحجاب على النساء لثلاث ترى وجوههن وأيديهن^(١).

٤ - استماع الغناء والمعازف:

الغناء: التطريب والترنم بالكلام الموزون وغيره، يكون مصحوبًا بالموسيقى وغير مصحوب^(٢).

المراد بالغناء هنا: الترنم المصحوب بالموسيقى والمعازف.

وهذا الغناء اشتهر في الناس وانتشر في كل العالم، وأصبح للغناء سمات لا ينفك عنها، ألا وهي عبارات العشق والغرام، وألفاظ الجنس والشهوة، والتغزل في صفات المحبوب أو المحبوبة، مع المعازف المؤثرة في النفوس الآسرة للقلوب، فلا تكاد ترى من أدمنوا سماع الغناء والمعازف إلا وهم صرعى الهوى، يتأوهون الحسرات ويشتكون الصد والهجران، مما أثر على قلوبهم فدفعتهم للوقوع في الفواحش، ومن سلم من الفاحشة العظمى لا تجده سالمًا مما هو دونها من الاستمتاع المحرم بالأقوال أو الأفعال، مما يهتك جدار العفة ويمرض القلوب.

(١) مجموع الفتاوى (١٥/٢٧١، ٢٧٢).

(٢) المعجم الوسيط (٢/٦٦٥).

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَّ وَالْحَرِيرَ، وَالْحَمْرَ وَالْمَعَارِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عِلْمٍ، يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ - يَعْنِي: الْفَقِيرَ - لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيَبِيتُهُمُ اللَّهُ، وَيَضَعُ الْعِلْمَ، وَيَمَسُخُ آخِرِينَ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (١).

نماذج من العفة:

ذكر الله تعالى في كتابه نموذجين للعفة: أحدهما لرجل، والثاني لامرأة:

النموذج الأول: يوسف عليه السلام لما راودته امرأة العزيز عن نفسه، قال تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ الْمَتَىٰ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصَّرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَعَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْنَهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامَرُهُ لَيُسْجَنَ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ

الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾
[يوسف: ٢٣ - ٣٤].

قال ابن القيم **رحمته** معلقاً على هذه القصة: فأخبر - الله تعالى - عن عشق امرأة العزيز ليوسف وما راودته وكادته به، وأخبر عن الحال التي صار إليها يوسف بصبره وعفته وتقواه؛ مع أن الذي ابتلي به أمر لا يصبر عليه إلا من صبره الله عليه، فإن موافقة الفعل بحسب قوة الداعي وزوال المانع، وكان الداعي ها هنا في غاية القوة وذلك لوجوه:

أحدها: ما ركب الله سبحانه في طبع الرجل من ميله الى المرأة كما يميل العطشان الى الماء والجائع إلى الطعام، حتى إن كثيراً من الناس يصبر عن الطعام والشراب ولا يصبر عن النساء.

الثاني: أن يوسف **عليه السلام** كان شاباً، وشهوة الشباب أقوى من غيرهم.

الثالث: أنه كان عزباً لا زوجة له تكسر شدة الشهوة.

الرابع: أنه كان في بلاد غربة يتأتى للغريب فيها من قضاء الوطر ما لا يتأتى لغيره في وطنه وبين أهله ومعارفه.

الخامس: أن المرأة كانت ذات منصب وجمال، بحيث أن كل واحد من هذين الأمرين يدعو إلى موافقتها.

السادس: أنها غير آبية ولا ممتنعة.

السابع: أنها طلبت وأرادت وبذلت الجهد فكفته مؤنة الطلب وذل الرغبة إليها.

الثامن: أنه في دارها وتحت سلطانها وقهرها بحيث يخشى إن لم يطاوعها من أذاها له؛ فاجتمع داعي الرغبة والرغبة.

التاسع: أنه لا يخشى أن تخبر عنه؛ لأنها هي الطالبة والراغبة، وقد غلقت الأبواب وغيبت الرقباء.

العاشر: أنه كان مملوكاً لها في الدار بحيث يدخل ويخرج ويحضر معها ولا ينكر عليه، وكان الأمن سابقاً على الطلب، وهو من أقوى الدواعي.

الحادي عشر: أنها استعانت عليه بأئمة المكر والاحتيال، فأرته إيّاهن وشكت حالها إليهن لتستعين بهن عليه فاستعان هو بالله عليهن فقال: ﴿وَالْأَنْصَارِ لِيُؤْتِيَنَّهُمُ مِّنْ لَّدُنْهُ عِلْمًا يُصَبِّحُ بِهِ الَّذِينَ آمَنُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ مَا كُنُوا عَادِيَةً عَلَيْهِمْ يُعَاسِرُونَ﴾ [يوسف: ٣٣].

الثاني عشر: أنها تواعدته بالسجن والصغار.

الثالث عشر: أنّ الزوج لم يظهر منه الغيرة والنخوة. وشدة الغيرة للرجل من أقوى الموانع وهنا لم يظهر منه غيرة.

ومع هذه الدواعي كلها أثر يوسف عليه السلام مرضات الله وخوفه، وحمّله حبه لله على أن اختار السجن على الزنا، فقال: ﴿رَبِّ أَلْتَجُنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣]، وعلم أنّه لا يطيق صرف ذلك عن نفسه وأن ربه تعالى إن لم يعصمه ويصرف عنه كيدهن صبا إليهن بطبعه وكان من الجاهلين، وهذا من كمال معرفته بربه وبنفسه، وفي هذه القصة من العبر والفوائد والحكم ما يزيد على ألف فائدة^(١).

فمن فوائدها:

١ - أنّ وجود يوسف عليه السلام - بحكم الرق الذي هو فيه - داخل بيت العزيز كان سبباً لافتتان المرأة به؛ لذا فقد حرّم الإسلام الدخول على النساء الأجنبات ولو كنّ من القرابة، ففي الحديث: «إِيَّاكُمْ وَالِدُخُولَ عَلَى النِّسَاءِ» فَقَالَ رَجُلٌ مِّنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الْحَمَوَ؟ قَالَ: «الْحَمَوُ الْمَوْتُ»^(٢).

٢ - أنّ المسلم إذا خاف الفتنة يلجأ إلى الله كما لجأ يوسف عليه السلام، وليُذكّر نفسه بالفضل الذي عليه وأنّه لا يحسن منه الغدر ولا الخيانة، قال يوسف عليه السلام: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

٣ - ليستيقن المسلم أنّه إن ترك شهوته لله وقد تيسرت له أن الله سيعينه

(١) ينظر: الجواب الكافي (ص ١٤٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢٣٢)، ومسلم برقم (٢١٧٢).

على التغلب عليها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِيَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

٤ - أن ابتعاد المسلم عن مواقع الفتن من أسباب السلامة منها: ﴿وَأَسْتَبِقَا أَلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْأَبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٥].

الأنموذج الثاني: مريم العذراء البتول عليها السلام عندما جاءها الملك في صورة آدمي، قال تعالى عنها: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾ [مريم: ١٦ - ٢١].

وفي قصتها فوائد في العفة منها:

١ - أن عفتها كانت سبباً في تخليد ذكرها، وأن تذكر في قرآن يُتلى إلى يوم القيامة.

٢ - أنها اعتصمت بربها حين رأت الرجل في صورة جميلة وهيئة حسنة وخافت أن يكون قد أرادها بسوء وطمع فيها فقالت: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾، فجمعت بين الاعتصام بالله وبين تخويفه، وترهيبه، وأمره بالتقوى.

٣ - أنها لم تضعف أمام شهوتها، وهي في حالة خالية بعيدة عن الناس، ومع هذا فهي شابة عندها ما عند الشباب من الشهوة، وهو في غاية الجمال الباهر والبشرية الكاملة السوية.

٤ - أن خوفها من الفتنة والبعد عن الشر وأسبابه أبلغ ما يكون من العفة، وهذه العفة من أفضل الأعمال، ولذلك أثنى الله عليها فقال: ﴿وَمَرْيَمَ

أَبَتْ عِمْرَانَ أَلَّتِي أَحْصَنْتَ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا
وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ ﴿١٢﴾ [التحریم: ١٢] فأعاضها الله بعفتها ولدًا من
آيات الله ورسولًا من رسله (١).

الخلق الثالث: العدل:

يطلق العدل في اللغة: على الإنصاف وعدم الظلم، فيقال: عدل معه؛
أي: أنصفه ولم يظلمه. ويطلق على الاستقامة في الأمر، فيقال: رجل عدل؛
أي: مستقيم (٢).

وفي الاصطلاح: إعطاء الواجب من النفس مع الاستقامة على الحق
والثبات عليه (٣).

قال ابن حزم **رحمته الله**: حدُّ العدل أن تُعطي من نفسك الواجب وتأخذه،
وحدُّ الجور أن تأخذه ولا تعطيه، ووجدت أفضل نعم الله تعالى على المرء أن
يطبعه على العدل وحبّه، وعلى الحق وإيثاره (٤).

وقد وردت نصوص كثيرة في العدل، **منها**: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ
يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يَعْظُمُ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]. قال ابن سعدي **رحمته الله** مجملًا
الحديث عن هذه الآية: «فالعدل الذي أمر الله به يشمل العدل في حقه وفي
حق عباده، فالعدل في ذلك: أداء الحقوق كاملة موفرة، بأن يؤدي العبد ما
أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منهما في حقه وحق
عباده، ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كل والٍ ما عليه تحت ولايته،
سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى، وولاية القضاء ونواب الخليفة، ونواب
القاضي. والعدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه، وعلى لسان رسوله **ﷺ**،

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (ص ٤٩١).

(٢) ينظر: القاموس المحيط (١١٠٧)، والمعجم الوسيط (٥٨٨/٢).

(٣) ينظر: التعريفات (ص ١٩١)، والحدود الأنيقة (ص ٧٣).

(٤) ينظر: الأخلاق والسير (ص ٨١ - ٩٠) بتصرف.

وأمرهم بسلوكه»^(١) .

قال أبو الفتح البستي **رحمته الله** :

عليك بالعدل إن وُلِّيت مملكة واحذر من الجور فيها غاية الحذر
فالمُلك يبقى على عدل الكفور ولا يبقى مع الجور في بدو ولا حضر

أنواع العدل:

ذكر الله تعالى في كتابه وذكر النبي **ﷺ** في سنته مواطن كثيرة للعدل،

منها:

١ - العدل عند الحكم بين الأطراف المتخاصمة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء: ٥٨].

٢ - العدل عند الصلح بين الناس فلا يُحابي طرفًا على حساب الطرف الآخر: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ تَ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات: ٩].

٣ - العدل عند تعامل المسلم مع من لا يحبه من الناس، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة: ٨].

٤ - العدل في القول وعند الشهادة، وتكون بقول الحق ولو كان على أقرب قريب، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥].

٥ - العدل بين الزوجات لمن كان معدداً، فعن أبي هريرة **رضي الله عنه** عن النبي **ﷺ** أنه قال: «مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَىٰ إِحْدَاهُمَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقَّةُ مَا ئِلٍ»^(٢) .

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٤٤٧).

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٢١٣٣)، وصححه الألباني.

٦ - العدل بين الأولاد فلا يفاضل بينهم إلا بسبب شرعي، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن أمه سألت أباه بعض الموهبة من مال لابنها، فالتوى بها سنة، ثم بدا له، فقالت: لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما وهبت لابني. فأخذ أبي بيدي وأنا يومئذ غلام، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن أم هذا أعجبها أن أشهدك على الذي وهبت لابنها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا بَشِيرُ أَلَكِ وَلَدٌ سِوَى هَذَا؟» قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: «أَكَلَهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هَذَا؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَلَا تُشْهِدُنِي إِذَا، فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ»^(١).

٧ - العدل بين من تحت يد الإنسان من رعية أو موظفين أو طلاب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْمُقْسَطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ صلى الله عليه وسلم، - وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ - الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلَوْ»^(٢)؛ أي: من كانت لهم عليه ولاية.

٨ - العدل في المعاملات كلها، قال الله تعالى: ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١٥) [الأعراف: ٨٥].

وإنما صار العدل أصلاً من أصول الأخلاق الحسنة لأنه يحمل صاحبه على اعتدال أخلاقه وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط، كما يحمله على خلق الجود والسخاء الذي هو توسط بين الشح والإسراف، وعلى خلق الشجاعة الذي هو توسط بين الجبن والتهور، وعلى خلق الحلم الذي هو توسط بين الغضب والمهانة. وهكذا في سائر الأخلاق؛ لأنه ما من خلق محمود إلا وهو بين خلقين ذميين.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٦٥٠)، ومسلم برقم (١٦٢٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٨٢٧).

الخلق الرابع : خلق الرحمة :

الرحمة في اللغة : الرقة والعطف والرأفة^(١) .

وفي الاصطلاح : حالة من الانكسار والعطف تعتري النفس عند رؤية ما يحزنها رؤيته على من تحب .

فالفقر يحزن النفس ويدفعها لرحمة الفقير والصدقة عليه ، والضعف يدفعها لرحمة الصغير ، والوحدة تدفعها لرحمة اليتيم ، والعجز يدفعها لرحمة من ليس له حيلة . . . وهكذا .

والرحمة صفة من صفات الرب ﷻ ، ففي الحديث القدسي : «إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي» . والنبي ﷺ نبي الرحمة ، وهي من أكمل صفات المؤمنين ، فعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحِمِهِمْ وَتَوَادِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى»^(٢) .

أبرز الوسائل التي تجلب الرحمة للقلب :

١ - تقبيل الصغار؛ فعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت : جاء أعرابيٌّ إلى النبي ﷺ فقال : تقبلون الصِّبيانَ فما نقبلهم ، فقال النبي ﷺ : «أَوْ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ»^(٣) . وكان النبي ﷺ يجلس أسامة بن زيد على فخذه والحسن بن علي على الأخرى ويضمهما ويقول : «اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أَرْحُمُهُمَا»^(٤) .

٢ - الطمع في رحمة الله يدفع الإنسان إلى أن يتصف بالرحمة ليقابله الله بها ، ففي الحديث أَنَّ النبي ﷺ قَالَ : «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»^(٥) .

(١) ينظر : معجم مقاييس اللغة (ص١٠٤٩) .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٠١١) .

(٣) المصدر نفسه برقم (٥٩٩٨) .

(٤) أخرجه البخاري برقم (٦٠٠٣) .

(٥) المصدر نفسه برقم (٥٩٩٧) .

٣ - مسح رأس اليتيم، والعطف على المساكين، فقد شكوا رجل إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه، فقال: «امسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين»^(١).

٤ - وضع الإنسان نفسه مكان المصاب: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بيننا رجل يمشي، فاشتد عليه العطش، فنزل بئراً، فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملاً خفه، ثم أمسكه بفيه، ثم رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له»^(٢). فهذا الرجل استدعى الرحمة في قلبه باستشعاره حال الكلب مع العطش، وتذكر كيف بلغ به العطش قبله، فدفعه ذلك إلى سقيه فنال المغفرة من الله تعالى.

الخلق الخامس: خلق الحياء:

الحياء: ضد الوقاحة، وهو تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به.

وفي الشرع: خلُق يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق^(٣).

والحياء صفة الله تعالى، ففي الحديث: «إن الله عز وجل حيي ستيّر»^(٤). وهو من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، فقد قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: كان النبي صلى الله عليه وسلم «أشد حياءً من العذراء في خدرها»^(٥) وهو من أخص صفات المؤمنين؛ لأنه من الإيمان، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على رجل وهو يعاتب أخاه في الحياء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعه فإن الحياء من الإيمان»^(٦).

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (٩٠١٨)، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٣٦٢).

(٣) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٥٢/١).

(٤) أخرجه أبو داود برقم (٤٠١٢)، وصححه الألباني.

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٥٦٢)، ومسلم برقم (٢٣٢٠).

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦١١٨)، ومسلم برقم (٣٦).

وأكمل الحياء الحياء من الله تعالى، ويكون باتباع أوامره واجتناب نواهيه، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ» قُلْنَا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّا لَنَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: «لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْإِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَتَحْفَظَ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكَرِ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا»؛ يَعْنِي: مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ ^(١).

ومثل النبي صلى الله عليه وسلم الحياء المطلوب شرعاً بحياء الإنسان من رجل صالح من قومه، فقال لرجل استوصاه: «أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَنْ تَسْتَحْيِيَ مِنْ اللَّهِ كَمَا تَسْتَحْيِي رَجُلًا صَالِحًا مِنْ قَوْمِكَ» ^(٢).

وقال ابن القيم رحمته الله في بيان علو منزلة الحياء: وخلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلها وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا؛ بل هو خاصّة الإنسانية، فمن لا حياء فيه ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم، كما أنه ليس معه من الخير شيء، ولولا هذا الخلق لم يُفَرَّ الضيف، ولم يُوفَ بالوعد، ولم تُؤدَّ أمانة، ولم تُقَضَّ لأحد حاجة، ولا تحرَّى الرجل الجميل فأثره والقبیح فتجنبه، ولا ستر له عورة، ولا امتنع من فاحشة.

وكثير من الناس لولا الحياء الذي فيه لم يؤدّ شيئًا من الأمور المفترضة عليه، ولم يرعَ لمخلوق حقًا، ولم يصل له رحمًا، ولا برًّا له والدا؛ فإنَّ الباعث على هذه الأفعال إمَّا ديني، وهو رجاء عاقبتها الحميدة، وإمَّا دنيوي، وهو حياء فاعلها من الخلق. فقد تبين أنه لولا الحياء إمَّا من الخالق أو من الخلائق لم يفعلها صاحبها ^(٣).

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٤٥٨)، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٧٣٤٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

(٣) ينظر: مفتاح دار السعادة (ص ٢٧٧، ٢٧٨) بتصرف.

الخلق السادس: خلق الحلم:

الحلم في اللغة: ترك العجلة^(١).

وفي الاصطلاح: ترك الانتقام عند شدة الغضب مع القدرة على ذلك^(٢).
والله تعالى من أسمائه الحليم ومن صفاته الحلم، قال سبحانه عن نفسه: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٥٥)، وهو صفة الأنبياء ﷺ، قال تعالى عن أبي الأنبياء إبراهيم ﷺ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

وقال النبي ﷺ لأشج عبد القيس رضي الله عنه: «إِنَّ فِيكَ لَخَصَلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ»^(٣).

وجاء رجل النبي ﷺ يتقاضاه ديناً فأغلظ في طلبه، فهمم به الصحابة، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا» فقال لهم: «اشْتَرُوا لَهُ سِنًّا»^(٤)، فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ» فقالوا: إنا لا نجد إلا سنًّا هو خير من سنّه. قال: «فَاشْتَرُوهُ، فَأَعْطُوهُ إِيَّاهُ، فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ، أَوْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً»^(٥).

ألم تر أنّ الحلم زين مسوّد لصاحبه والجهل للمرء شائن
فكن دافئاً للشر بالخير تسترح من الهم إن الخير للشر دافن
وقال لقمان الحكيم: «ثلاثة لا يُعرفون إلا عند ثلاثة: لا يُعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه».

أبرز فوائد الحلم:

١ - نصره الله تعالى للحليم: فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو قرابته

- (١) ينظر: معجم مقاييس اللغة (٩٣/٢).
- (٢) تهذيب الأخلاق المنسوب للجاحظ (ص ٢٣).
- (٣) أخرجه مسلم برقم (١٧).
- (٤) أي: بغيراً مثل بغيره في السنّ.
- (٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٣٠٦)، ومسلم برقم (١٦٠١).

يقول: إنَّ لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ. فقال: «لَئِن كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسْفِهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»^(١).

٢ - نصرة الناس للحليم ضد من جهل عليه: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إنَّ أوَّل ما عُوض الحليم من حلمه أنَّ الناس كلَّهم أعوانه على الجاهل.

٣ - بلوغ المكانة الاجتماعية: قيل لعِرابة بن أوس: بَمَ سدت قومك يا عِرابة؟ قال: كنت أحلم عن جاهلهم وأعطي سائلهم وأسعى في حوائجهم، فمن فعل فعلي فهو مثلي، ومن جاوزني فهو أفضل، ومن قصَّر عني فأنا خير منه.

وقال ابن حَبَّان رضي الله عنه في بيان مكانة الحلم وفضل الحليم: الحليم عظيم الشأن رفيع المكان محمود الأمر مرضي الفعل، والحلم: اسم يقع على زَمِّ النفس عن الخروج عند الورود عليها ضد ما تحب إلى ما نهى عنه. فالحلم يشتمل على المعرفة والصبر والأناة والتثبت، ولم يقرن شيئاً إلى شيء أحسن من عفو إلى مقدرة. والحلم أجمل ما يكون من المقتدر على الانتقام^(٢).

أحبُّ مكارم الأخلاق جهدي وأكره أن أعيب وأن أعابا
وأصفح عن سباب النَّاسِ حلماً وشرُّ النَّاسِ من يهوى السَّبَابا
ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حَقَّر الرَّجَالَ فلن يهابا



(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٥٨).

(٢) ينظر: روضة العقلاء (ص ٢٠٨).

الوحدة الرابعة

الآداب الإسلامية العليا

تبيّن فيما سبق أنّ الأخلاق في الإسلام ليست محصورة في تعامل المسلمين مع من حولهم من الناس؛ بل تتعدى ذلك إلى الآداب الإسلامية، وفي هذه الوحدة سوف نبين نوعين من الآداب الإسلامية العليا: الأدب مع الله، والأدب مع النبي ﷺ.

﴿الأدب مع الله ﷻ﴾

إنّ أولى من يجب التأدب معه المنعم على الإنسان بوجوده، والمتفضل عليه برزقه، والمتكرم عليه بفضله وجوده وهو الله سبحانه، ويمكن تلخيص الأدب والخلق مع الله تعالى فيما يلي:

أولاً: إخلاص العبادة له وعدم الشرك به:

فالإخلاص لله؛ يعني: صفاء القلب والعمل لله تعالى، فلا يشاركه فيهما أحد، وهذا هو التدين الحق، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينَ الخَالِصَ وَالذِّبْنَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزمر: ٣]، وقال أمراً نبيه ﷺ بإعلان إخلاصه لله تعالى في عبادته ونبذته للشرك: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعَدُّ مَخْلَصًا لَهٗ رَبِّي ﴿٤٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلِ إِنَّ الخَيْرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر: ١٤ - ١٥]. ولما سأل أبو هريرة رضي الله عنه النبي ﷺ عن أسعد الناس بشفاعته؟ قال: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلْنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلَ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَيَّ الْحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ

قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»^(١). وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: «أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمَلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ»^(٢).

وحتى يتمكن المسلم من تحقيق الإخلاص في عبادته لله تعالى عليه أن يستكمل ثلاثة أمور الآتية نبه عليها العلماء:

الأول: تصفية العمل عن الالتفات إلى غير الله، فلا يريد بعمله جاهًا ولا منزلة عند أحد، ولا لينال به حظًا من الدنيا أو مدحًا وثناء من الناس؛ بل مراده مرضاة الله فحسب.

الثاني: احتقار العمل مع بذل المجهود فيه، فلا يُعجب بعمله وطاعته فيكون ذلك إيجابًا لها.

الثالث: موافقة العمل لهدي النبي ﷺ، إذ كل عمل ليس عليه هديه ﷺ فهو مردود على صاحبه، قال ﷺ: «مَنْ عَمَلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(٣).

قال ابن القيم رحمه الله بعد ذكره هذه الثلاثة: «فهذه الأركان الثلاثة هي أركان السير وأصول الطريق التي من لم يبن عليها سلوكه وسيره فهو مقطوع، وإن ظنَّ أنه سائر فسيره إمَّا إلى عكس جهة مقصوده؛ وإمَّا سير المقعد والمقيد، وإمَّا سير صاحب الدابة الجموح كلما مشت خطوة إلى قدام رجعت عشرة إلى خلف.

فإن عدم الإخلاص والمتابعة: انعكس سيره إلى خلف، وإن لم يبذل جهده ويوحد طلبه سار سير المقيد، وإن اجتمعت له الثلاثة: فذلك الذي لا يجارى في مضمار سيره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم»^(٤).

(١) أخرجه البخاري برقم (٩٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٩٨٥).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٧١٨).

(٤) مدارج السالكين (٢/٩٧).

ثانياً: شكر الله تعالى على نعمه:

نِعْمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْعَبْدِ كَثِيرَةً، وَلَا سَبِيلَ لِإِحْصَائِهَا، ﴿وَأَتَانَكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. وإنما يكون العبد شاكراً لله تعالى بما يلي:

١ - الخضوع له سبحانه، فإنَّ الإنسان بطبعه يخضع لمن تفضل عليه، فكيف بمن لا حياة ولا صحة ولا غنى؛ بل ولا دنيا ولا آخرة إلا بفضلِهِ وجوده ورحمته.

٢ - محبة الله تعالى، وجعلها فوق محبة كل أحد.

٣ - الاعتراف بالنعمة، ويكون باللسان: بذكرها والإقرار بأنَّها منه وحده، وبالجوارح بالانقياد لله والطاعة لأوامره واجتناب نواهيه.

٤ - الثناء على الله بها.

٥ - أن يستعمل النعمة فيما يرضي المنعم سبحانه.

قال ابن القيم رحمته: «الشكر مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثنائه عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره. فهذه الخمس: هي أساس الشكر، وبنائه عليها، فمتى عدم منها واحدة اختلَّ من قواعد الشكر قاعدة»^(١).

وإنَّ التوفيق للقيام بشكر الله تعالى يكون باللجوء إليه ودعائه، فقد ثبت في الحديث الصحيح أنَّ النبي صلى الله عليه وآله أخذ بيد معاذ بن جبل رضي الله عنه وقال له: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ»، فَقَالَ: «أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»^(٢).

وكان النبي صلى الله عليه وآله يقوم الليل حتى تفتطرت قدماه من طول قيامه فقال له أصحابه مستنكرين: قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أَفَلَا

(١) مدارج السالكين (٢/٢٤٤).

(٢) أخرجه أبو داود برقم (١٥٢٢)، وصححه الألباني.

أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»^(١).

ثالثًا: استشعار مراقبته:

المراقبة: دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الله تعالى على ظاهره وباطنه^(٢). قال الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وقال: ﴿يَعْلَمُ حَايَتَهُ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(٣) [غافر: ١٩].

إنَّ شعور العبد بمراقبة الله له في جميع أحواله يدفعه إلى إحسان العمل ظاهرًا وباطنًا، فيعبد الله تعالى بأعلى مراتب الدين وهو: الإحسان، الذي بيَّنه النبي ﷺ حين سأله جبريل عنه فقال: «الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ؛ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(٣).

ولا تتم مراقبة العبد لربه تعالى إلا بأمرين:

الأول: معرفة العبد لربه ﷻ - بأسمائه وصفاته وما تدل عليه من المعاني - معرفة حقيقية.

الثاني: تقوية خشية الله في قلبه، بحيث يخاف الله ويخشى عقابه.

رابعًا: التسليم لحكمه وأمره ونهيه:

خلق الله تعالى الكون كله: سمواته وأرضه، وإنسه وجنه، وسائر مخلوقاته، وجعل أمره ونهيه هو النافذ في الكون كله، فكما أن التصرف في الكون له وحده لا يشاركه فيه أحد فيجب أن تكون الأوامر والنواهي له لا يشاركه فيها أحد، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤) ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ^(٥) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٣٠)، ومسلم برقم (٢٨١٩).

(٢) ينظر: مدارج السالكين (٢/٦٥).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٧٧٧)، ومسلم برقم (٨).

وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ [الأعراف: ٥٤ - ٥٦]، قال أبو جعفر الطبري رحمته الله: «يقول تعالى ذكره: إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجْمِ، كُلَّ ذَلِكَ بِأَمْرِهِ، أَمْرَهُ اللَّهُ فَأَطَعْنَ أَمْرَهُ، أَلَا اللَّهُ الْخَلْقُ كُلُّهُ، وَالْأَمْرُ الَّذِي لَا يَخَالَفُ وَلَا يَرُدُّ أَمْرَهُ، دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، وَدُونَ مَا عِبَدَهُ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ الَّتِي لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَا تَخْلُقُ وَلَا تَأْمُرُ، تَبَارَكَ اللَّهُ مَعْبُودُنَا الَّذِي لَهُ عِبَادَةٌ كُلُّ شَيْءٍ، رَبِّ الْعَالَمِينَ»^(١).

وأوجب الله تعالى التسليم لحكمه وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم وجعل ذلك أمانة على الإيمان، فقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. قال الشنقيطي رحمته الله: «أقسم تعالى في هذه الآية الكريمة بنفسه الكريمة المقدسة، أنه لا يؤمن أحد حتى يُحَكِّمَ رسوله صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور، ثم ينقاد لما حكم به ظاهراً وباطناً، ويسلم له تسليمًا كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة، ويبيِّن في آية أخرى أنَّ قول المؤمنين محصور في هذا التسليم الكلي، والانقياد التام ظاهراً وباطناً لما حكم به صلى الله عليه وسلم، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٥١]»^(٢).

والتسليم الحق يكون بالتسليم لأمره ونهيه وحكمه وشرعه مع الرضا التام وانسراح الصدر له، وأيضاً بالتسليم لفضائه وقدره، الذي يطرق العبد في دنياه بما يحبه ويكرهه، فيكون مطمئن النفس مرتاح الضمير، موقناً بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

و ضد التسليم للحكم والأمر والنهي الاعتراض عليها، وضيق الصدر بها، ووجود الحرج مما تضمنته من أحكام... وهذا فيه سوء الأدب مع الله

(١) جامع البيان (١٢/٤٨٤).

(٢) أضواء البيان (١/٣٩٤).

تعالى برفض حكمه، وردّ شريعته، واتباع الأهواء فيما يخالف حكمه.

خامساً: التوبة له:

التوبة: الرجوع إلى الله وترك الإصرار على الذنوب^(١). قال ابن عباس رضي الله عنهما: «التوبة النصوح: الندم بالقلب، والاستغفار باللسان، والإقلاع بالبدن، والإضمار على ألا يعود».

والتوبة من أبرز صفات المؤمنين المتقين، قال الله تعالى عنهم:

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالضَّرَّاءِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مَّغْفِرَةٍ إِلَّا إِلَى اللَّهِ وَلَمْ يَصِرُوا عَلَىٰ مِمَّا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاءُهم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم وَجَنَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعَمَ أَجْرٌ الْعَمَلِينَ﴾ (١٣٦) [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦].

وعلى المؤمن أن يحذر من تقنيط الشيطان له وتأسيسه من قبول الله لتوبته مهما فعل من الذنوب وارتكب من الخطايا والموبقات، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥٣) [الزمر: ٥٣].

جاء أبو طویل - شطب الكندي رضي الله عنه - إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أَرَأَيْتَ رَجُلًا عَمِلَ الذُّنُوبَ كُلَّهَا، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهَا شَيْئًا، وَهُوَ فِي ذَلِكَ لَمْ يَتْرُكْ حَاجَةً وَلَا دَاجَةً إِلَّا أَتَاهَا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: «فَهَلْ أَسْلَمْتَ؟» قَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: «نَعَمْ، تَفْعَلُ الْخَيْرَاتِ، وَتَتْرُكُ السَّيِّئَاتِ، فَيَجْعَلُهُنَّ اللَّهُ لَكَ خَيْرَاتٍ كُلَّهِنَّ»، قَالَ: وَغَدْرَاتِي وَفَجْرَاتِي؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فَمَا زَالَ يَكْبُرُ حَتَّى تَوَارَى^(٢).

(١) ينظر: التعريفات (ص ٩٥).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير برقم (٧٢٣٥)، وقال ابن حجر في الأمالي المطلقة (ص ١٤٥): حديث حسن صحيح.

وإن ظن العبد أنه لا يقوم بالعبودية الحققة لله تعالى إلا بالعصمة من الذنوب فقد أخطأ، فإن الله تعالى لم يجعل العصمة لأحد بعد الأنبياء، والناس كلهم أهل ذنوب ومعاصي كما ثبت ذلك في الحديث: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ: التَّوَّابُونَ»^(١).

وإن الفرق بين مذنب ومذنب: أن الأول يذنب فيرجع إلى ربه ويتوب، والآخر يذنب ثم يتبع الذنب بالذنب يأساً من قبول الله لتوبته، وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ»^(٢).

خامساً: حسن الظن به:

حسن الظن بالله تعالى هو: توقع العبد للخير والصلاح والعفو والعطاء من الله سبحانه.

وهو من أجل العبادات القلبية، والله تعالى يحب من عباده أن يحسنوا الظن به، ومن لم يحسن الظن به فقد شابه فعال أهل الجاهلية، فهم الذين يسيئون الظن بالله لعدم معرفتهم التامة به، قال الله تعالى بعد غزوة أحد: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَدِّ أَلَمٍ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغَشِّي نَافِثَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾

[آل عمران: ١٥٤].

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بإحسان الظن بالله تعالى مطلقاً - وخاصة عند الموت - فقال: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ»^(٣).

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٤٩٩)، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٩).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٨٧٧).

وإذا وقع العبد في معصية الله فليحسن الظنَّ بربه أنه يقبل توبته ويغفر ذنبه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عجل قال: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي»^(١).

فحسن الظن بالله تعالى واجب في الأمور كلها، والله تعالى عند ظنِّ عبده به، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»^(٢).

فإذا ظنَّ العبد بالله المغفرة غفر له، وإن ظنَّ الرزق الحلال رزقه حلالاً، وإن ظنَّ التوفيق والسداد سدده للخير... وهكذا، فإن أساء الظنَّ بربه أتاه ما ظنَّه به.

الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم

إنَّ من أعظم المنن أن أرسل الله إلى عباده رسولاً منهم ليخرجهم من ظلمات الكفر والشرك إلى أنوار الإيمان والتوحيد، فمن آمن به وصدَّقه واتبعه نجا، ومن لم يؤمن به وكذبه استحق الهلاك، قال سفيان بن عيينة رحمته الله: «إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الميزان الأكبر الذي يوزن عليه كل أحد».

وقد أوجب الله تعالى على من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم واجبات يقوم بها، وهي من لوازم الإيمان به صلى الله عليه وسلم، أبرزها ما يلي:

الأول: محبته:

المحبة ضد البغض، وهي المودة القلبية^(٣).

(١) المصدر نفسه برقم (٢٧٥٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٥٠٥) ومسلم برقم (٢٦٧٥).

(٣) ينظر: لسان العرب (٤٥٣/٣).

والمحبة التي تقع بين الناس نوعان: محبة اضطرار قد جُبلت النفوس عليها؛ كمحبة الوالد لولده والقريب لقريبه، وهذا النوع ليس داخلاً تحت التكاليف الشرعية. ومحبة اختيار: وهي التي عليها الأجر والثواب؛ كمحبة الله تعالى، ومحبة النبي ﷺ، ومحبة الصالحين من الناس.

ويجب أن تكون منزلة النبي ﷺ في قلوب المؤمنين رفيعة، فلا إيمان لأحد من غير محبته ﷺ؛ بل يقدم في المحبة على كل أحد، قال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ»^(١).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي. فقال النبي ﷺ: «لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ». فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي. فقال النبي ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ»^(٢). ومعنى الحديث: لا تكون صادقاً في حبك لي إلا إذا أثرت طاعتي واتباعي ومرادي على هوى نفسك ومرادها وشهواتها، هناك تكون صادقاً في محبتي.

وعلامات محبة العبد للنبي ﷺ تظهر في الاقتداء به، واتباع سنته، وامتنال أوامره، واجتناب نواهيه، والتأدب بآدابه، والتخلق بأخلاقه في الشدة والرخاء، وفي العسر واليسر، ولا شك أن من أحب شيئاً آثره، وآثر موافقته، وإلا لم يكن صادقاً في حبه.

الثاني: طاعته واتباعه:

الطاعة ضد المعصية، يقال: أطاع الرجلُ الرجلَ؛ أي: خضع له وانقاد^(٣).

وإن طاعة النبي ﷺ من لوازم الإيمان به، فمن آمن به لزمه أن يطيعه وإلا كان كاذباً في دعواه، قال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١)

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٥)، ومسلم برقم (٤٤).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٦٣٢).

(٣) ينظر: المعجم الوسيط (٥٧٠/٢).

[الأنفال: ١]. وحذر الله تعالى من مخالفته فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وحذر من منازعة أمره فقال: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

بل إن طاعته طاعة لله تعالى، فقد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ»^(١).

وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه دليل على محبة العبد لربه صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

ولا سبيل لأحد من أمته إلى دخول الجنة إلا بطاعته واتباعه كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»^(٢).

وإن لكل شيء حقيقة، وحقيقة الاتباع أن يفعل العبد مثلما فعل النبي صلى الله عليه وسلم (الهيئة)، على الوجه الذي فعل (القربة والعبادة)، لأجل أنه فعل (لا بالاتفاق).

قال ابن تيمية رحمته الله: إذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم فعلاً على وجه العبادة شرع لنا أن نفعله على وجه العبادة، وإذا قصد تخصيص مكان أو زمان بالعبادة خصصناه بذلك، كما كان يقصد أن يطوف حول الكعبة وأن يستلم الحجر الأسود وأن يصلي خلف المقام. وأمّا ما فعله بحكم الاتفاق ولم يقصده - مثل أن ينزل بمكان ويصلي فيه لكونه نزله لا قصداً لتخصيصه به بالصلاة والنزول فيه - فإذا قصدنا تخصيص ذلك المكان بالصلاة فيه أو النزول لم نكن متبعين؛ بل هذا من البدع التي كان ينهى عنها عمر بن الخطاب، فقد ثبت بالإسناد الصحيح من حديث شعبة عن سليمان التيمي عن المعروف بن سويد

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١٣٧)، ومسلم برقم (١٨٣٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٠).

قال: كان عمر بن الخطاب في سفر فصلى الغداة ثم أتى على مكان فجعل الناس يأتونه فيقولون: صلى فيه النبي ﷺ. فقال عمر: «إنما هلك أهل الكتاب أنهم اتبعوا آثار أنبيائهم فاتخذوها كنائس وبيعاً فمن عرضت له الصلاة فليصل وإلا فليمض»^(١).

الثالث: توقيره ورفع مكانه فلا يوازيه أحد:

التوقير: التعظيم والتبجيل^(٢).

لقد رفع الله منزلة النبي ﷺ بين الأنبياء، فجعله خاتمهم، وسيدهم، واختصه بأكمل الشرائع، وأنزل عليه أعظم الكتب، وجعله رسول الثقلين، وأمر الناس بتوقيره وتعظيمه فقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُعَزِّرُوهُ وَنُقِرُّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفتح: ٨، ٩]، وذكر أهل التأويل أن المقصود بالتوقير والتعظيم في الآية: النبي ﷺ.

وإن من توقير النبي ﷺ تعظيم هديه وسنته، وتقديم قوله على قول كل أحد من البشر، إذ زكى الله تعالى منه القول فلا ينطق عن الهوى أبداً، إنما ينطق بالوحي: ﴿وَالنَّجْوَى إِذَا هُوَ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ١ - ٤].

وحرم الله تعالى التقدم بين يديه وتقديم قول أو رأي أحد من الناس على رأيه وقوله فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَأَنْقُضُوا إِلَهُ إِنْ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحجرات: ١]؛ أي: لا تعجلوا بقضاء أمر في حروبكم أو دينكم، قبل أن يقضي الله لكم فيه ورسوله، فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله^(٣).

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يعظمون النبي ﷺ ويوقرونه، ولا يقدمون على قوله قول أحد كائناً من كان؛ بل ينهاون الناس عن الاستهانة بقوله ولو كان

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٧٨/١).

(٢) ينظر: المعجم الوسيط (١٠٤٩/٢).

(٣) ينظر: جامع البيان (٢٧٢/٢٢).

بمقابلته بقول أعظم رجالات الإسلام بعده: أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

ومن ذلك أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يفتي الناس بجواز التمتع بالعمرة إلى الحج - كما هي السُّنة - فعارضه عروة بن الزبير رضي الله عنه بأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا ينهيان عن ذلك. فقال له ابن عباس رضي الله عنهما: أهما آثر عندك أم ما في كتاب الله وما سنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه وفي أمته؟ فقال عروة: هما كانا أعلم بكتاب الله وما سنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مني ومنك. قال الخطيب البغدادي رضي الله عنه معلقاً على هذا: قد كان أبو بكر وعمر على ما وصفهما به عروة - أي: من العلم بالكتاب والسُّنة - إلا أنه لا ينبغي أن يقلد أحد في ترك ما ثبتت به سُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١).

الرابع: التحاكم إليه:

أنزل الله تعالى الكتب وأرسل الرسل صلى الله عليهم وسلم ليحكموا الناس بما شرعه لهم ربهم صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وجعل التحاكم إلى النبي صلى الله عليه وسلم أمانة على صدق الإيمان فقال: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحْكُمُواكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وأخبر أنه لا يمتنع عن التحاكم إليه إلا المنافقون والكافرون، فقال: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُدْعِينَ (٤٩) أَلَمْ يَكُنْ لَّهُمْ قُلُوبُهُمْ مَّرْضًا أَمْ أَنْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخَشِيَ اللَّهَ وَبَيَّتَهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢)﴾ [النور: ٤٧ - ٥٢].

(١) ينظر: الفقيه والمتفقه (١/٢١١).

وأما من كان بموضع الولاية والقضاء وتطبيق الأحكام فتحى حكم الله وحكم رسوله ﷺ وحكم غيره حكماً عاماً على الناس فهو كافر، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].
 والتحاكم يكون إلى النبي ﷺ في حياته، وأما بعد موته فيكون إلى كتاب الله الذي جاء به والسنة الثابتة عنه ﷺ.

الخامس: الصلاة عليه ﷺ:

الصلاة على النبي ﷺ تكون من الله بالرحمة والمغفرة، ومن الملائكة بالدعاء، ومن الناس بالثناء عليه وإظهار شرفه وفضله وحرمة^(١). وقد جمع الله تعالى هذه الصلوات الثلاث في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. وأخبر النبي ﷺ بأجر الصلاة عليه فقال: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا»^(٢).

والصلاة عليه ﷺ مشروعة في كل الأوقات، وتعرض عليه وهو في قبره، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتِكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»^(٣). وتتأكد في مواطن ثبتت بها النصوص، منها: الصلاة عليه ﷺ عند دخول المسجد، وعند الخروج منه، وبعد إجابة المؤذن، وعند إقامة الصلاة، وعند الدعاء، وفي التشهد في الصلاة، وفي صلاة الجنازة، وفي الصباح والمساء، وفي يوم الجمعة وليلتها، وفي الخطب: كخطبتي صلاة الجمعة، وعند كتابة اسمه ﷺ، وفي آخر دعاء القنوت، وعلى الصفا والمروة، وعند زيارة قبره ﷺ والسلام عليه وغير ذلك^(٤).

وقد ورد في الشرع ذم من ترك الصلاة على النبي ﷺ، حيث قال:

(١) ينظر: جلاء الأفهام (ص ١٦١).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٤٠٨).

(٣) أخرجه أبو داود برقم (٢٠٤٢).

(٤) ألف ابن القيم رحمته الله كتاباً في مواطن الصلاة على النبي ﷺ أسماه: جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام. فليراجعه من أراد التوسع في ذلك.

«الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»^(١) . وقال أيضًا: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»^(٢) فقلوه ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ»: مأخوذ من الرغام وهو: التراب؛ فمعنى أرغم الله أنفه؛ أي: ألصقه بالرغام وأذله.



(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (١٧٣٦)، وهو صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٣٥٤٥) وحسنه، وقال الألباني: حسن صحيح.

الوحدة الخامسة

قواعد في الآداب الإسلامية الاجتماعية

إنَّ من المناسب أن أختتم الحديث عن الأخلاق بجملته من القواعد الأخلاقية في الإسلام مرتبة على أبوابها ليكون استذكارها أسهل والانتفاع بها أتم بإذن الله^(١)، وهي على النحو الآتي:

أخلاق وآداب عامة:

هذه أخلاق وآداب عامة ينبغي أن يمثلها المسلم في جميع أحواله:

١ - أَحَبُّ لِلنَّاسِ مَا تَحَبُّ لِنَفْسِكَ وَأَكْرَهُ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لَهَا، ففِي الْحَدِيثِ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(٢).

٢ - انتقد نفسك قبل انتقادك للآخرين، فإنَّه يدفعك لتغيير أخلاقك، قال أبو الأسود الدؤلي رضي الله عنه:

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيم
ابدأ بنفسك وانها عن غيرها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يُقبل ما وعظت ويُقتدى بالعلم منك وينفع التعليم

٣ - ليكن همُّك إصلاح باطنك فإن صلح فسيصلح الظاهر، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً؛ إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(٣).

(١) ألف الأستاذ الدكتور عبد الله بن ضيف الله الرحيلي كتابًا سماه: الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها، وهو مؤلف بطريقة سهلة ومبتكرة يحسن الرجوع إليه للاستزادة.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣)، ومسلم برقم (٤٥).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢)، ومسلم برقم (١٥٩٩).

- ٤ - تذكر أنّ عليك واجبات للناس كما أنّ لك حقوقاً عليهم، فلا تطلب الحقوق إلا وقد أدّيت الواجبات.
- ٥ - لا تعذر نفسك في الأخطاء الصغيرة فإنّها طريق إلى أكبر منها.
- ٦ - حسن أخلاقك مع الجميع: القريب والبعيد، والصديق والعدو، والقوي والضعيف، والغني والفقير.
- ٧ - لا تفخر على أحد مهما بلغت من المنزلة؛ فالفخر خلُق قبيح، وأقبح منه فخر الإنسان بما ليس من كسبه، كنسب ومالٍ وجمال، أو لون وعرق وبلد.
- ٨ - خذ من الناس أحسن ما فيهم تكن أكملهم خلقاً.
- ٩ - اجعل جزاء السيئة الحسنة، وقابلها بالعفو والصفح.
- ١٠ - لا ترفع صوتك أكثر من الحاجة، خاصة في الأماكن العامة، فقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: «لَمْ يَكُنْ يَرْفَعُ صَوْتَهُ وَلَا مُتَفَحِّشًا وَلَا صَخَّابًا فِي الْأَسْوَاقِ - الصخب: الصوت العالي - وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ»^(١).
- ١١ - الأماكن العامة؛ كالطرق والمرافق والحدائق وضعت للانتفاع المشترك بين الناس، فلا تتصرف فيها بما فيه تعدٍ على الآخرين.
- ١٢ - إذا رأيت من الناس سوء أدب؛ كنفض اليد في الإناء عند الأكل، ووضع الإصبع في الأنف، ورمي النفايات في الطريق وجوار الحاويات، والتدخين في الأماكن العامة، فاجتنبه فإن ذلك تهذيب لأخلاقك.
- ١٣ - احترامك للنظام ومراعاة التسلسل في الطوابير أمانة على احترامك لذاتك.

آداب اللباس والزينة:

- ١ - اجتنب المحرم من اللباس والزينة؛ كالذهب والحريز فإنهما محرمان على الرجال، مباحان للنساء.

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٠١٦)، وصححه الألباني.

٢ - التوسط والاعتدال في استعمال الزينة المباحة بلا مبالغة فيها ولا إسراف.

٣ - النظافة أساس في اللباس والزينة؛ لأنَّ المسلم نظيف الظاهر والباطن.

٤ - العناية بإصلاح الشعر وتسريحه والعناية به.

٥ - البدء باليمين عند اللباس.

٦ - المحافظة على أذكار اللباس، ومنها قول النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ، وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ، وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ»^(١).

٧ - يحرم تشبه المرأة بالرجل والرجل بالمرأة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ»^(٢).

٨ - تحريم لبس ثياب الشهرة والاختيال؛ لقول النبي ﷺ: «مَنْ لَبَسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ أَلْبَسَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ»^(٣).

٩ - يحرم في الزينة تغيير خلق الله بالوشم^(٤) أو الوشر^(٥) أو النمص^(٦) أو غيرها، قال تعالى عن مكيدة الشيطان لابن آدم: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَأَمُرَّنَّهُمْ فَلْيُبَيِّئَنَّ أَزْوَاجَهُمْ لِأَعْيُنِهِمْ فَذَرَبُوا بِسُهُوفِهِمْ فَرْجَهُمْ لِيُبَيِّئَ لَهَا وَحَشَىٰ عَلَيْهِمْ إِغْوَاةَ رَبِّهِمْ فَمَا يَكْفُرُ لِمُبَيِّنِهِمْ إِذْ يُبَيِّنُ لَهَا مَا يَكْفُرُ لِبَيْتِهِمْ وَكَذَٰلِكَ نَتْلُو قَوْلَهُ لَنُرِيَنَّهُمْ إِذْ يُخَيَّلُونَ إِلَيْهِمْ أَجْرَهُمْ فَأَبَدُوا مِنْهُ مُضِرَّاتٍ لَّئِيمٍ إِذْ يَبْغُونَ مِنَ اللَّهِ عَظِيمًا ۗ وَاللَّهُ يَخَذُ الْحَسْبَ وَاللَّيْلَ مِنَ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرْنَا خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ [النساء: ١١٩]، وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «لَعَنَ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ»^(٧)،

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٠٢٠)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٨٨٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه برقم (٣٦٠٦)، وحسنه الألباني.

(٤) الوشم: أن يُعْرَظَ الجلد بإبرة ثم يُحْشَى بِكُحْلٍ أَوْ نِيلٍ فَيَزْرَقُ أَثْرَهُ أَوْ يَخْضِرُ. النهاية في غريب الحديث (٩٧٤).

(٥) الوشر: تحديد الأسنان وترقيقها تفعله المرأة الكبيرة تشبهًا بالصغيرات. ينظر: المصدر نفسه (٩٧٣).

(٦) النمص: نشف الشعر النابت في الوجه كالحاجبين ونحوها. ينظر: المصدر السابق (٩٤٣).

(٧) الوصل: التي تَصِلُ شعرها بشعر آخر زُورٍ. ينظر: المصدر السابق (٩٧٥).

وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ»^(١).

آداب المجالسة والمحادثة :

إنَّ من أبرز الآداب التي ينبغي للمسلم أن يلتزم بها عند محادثة الناس ومجالستهم ما يلي :

١ - خفض الصوت إلا لحاجة؛ كحاجة الخطيب وقت الخطبة، والمحذّر للناس المنذر لهم من خطر قد يداهمهم؛ لقوله تعالى في وصية لقمان لابنه: ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (١٩) ﴿لقمان: [١٩].

٢ - الحذر من الشرثرة والتشدد وتكلف الفصاحة؛ لقول النبي ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنِكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الشَّرَّارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفِيهِقُونَ»، قَالَوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ عَلِمْنَا الشَّرَّارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفِيهِقُونَ؟ قَالَ: «الْمُتَكَبِّرُونَ»^(٢).

٣ - الإنصات والاستماع للمتكلم وعدم مقاطعته حتى يتم حديثه.

٤ - مخاطبة الناس على قدر عقولهم وبما يفهمونه ويدركون معناه صيانة لهم عن الضلال والفتنة، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟»^(٣).

٥ - الترسُّل في الكلام وعدم العجلة؛ ليُعرف قصده ويُفهم مراده، فقد روى الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لَأَخْصَاهُ»^(٤).

(١) أخرجه مسلم برقم (٢١٢٤).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٠١٨)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه البخاري برقم (١٢٧).

(٤) المصدر نفسه برقم (٣٥٦٧).

٦ - إعادة الكلام المهم الذي يصعب على بعض المستمعين فهمه من مرة واحدة، وهذا معنى قول أنس رضي الله عنه: «كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه»^(١).

٧ - الإقبال على المتحدث بالوجه وإشعاره بالاهتمام، كما قال الصحابة في وصف حالهم مع النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا خطب التفتوا بوجوههم إليه»^(٢).

٨ - اجتناب الألفاظ البذيئة وغير المؤدبة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان فاحشاً ولا متفحشاً.

٩ - اجتناب التناجي بين الاثنين دون الثالث؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى رَجُلَانِ دُونَ الْآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ، أَجَلَ أَنْ يُحْزِنَهُ»^(٣)^(٤).

١٠ - حفظ سر المتكلم إذا صرح بأنه لا يريد نشره، وكذلك لو لم يطلب كتمانها ولكن فهم من خصوصية الخبر أنه غير مناسب للنشر فلا يُنشر.

١١ - عدم هجر المسلم لإخوانه المسلمين فوق ثلاثة أيام.

آداب التسوق:

إنَّ حاجة الناس تدفعهم لنزول الأسواق، ولكن ينبغي عند النزول الالتزام بالآداب الإسلامية الآتية:

١ - حجاب المرأة المحتشم عنوان عفتها وسبب كرامتها.

٢ - دخول النساء للأسواق المختلطة لا يكون إلا بصحبة محرما.

٣ - إعداد قائمة بالاحتياجات قبل دخول السوق يوفر الجهد والوقت والمال.

(١) المصدر نفسه برقم (٩٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم (١١٣٦٩)، وصححه الألباني.

(٣) علة النهي: حتى لا يحزن المنفرد؛ لأنَّه قد يظن أنَّه المقصود بتلك المناجاة. ومثل ذلك لو كان الحديث بلغة أخرى لا يفهمها المنفرد.

(٤) أخرجه البخاري برقم (٦٢٩٠).

- ٤ - لا تخدعَنَّك العبارات الدعائية، فأسعار السلع ترتبط بالدعاية والتسويق .
- ٥ - لا تشتتر إلا ما يوافق الشرع من الألبسة واطلب إجراء التعديلات على ما لم يكن مناسبًا .
- ٦ - خضوع المرأة بالقول وكثرة الكلام مع الباعة يثير الرجال ويدعو إلى إساءة الظن بها .
- ٧ - السوق ليس مكانًا لنزهة الأسرة فلا يذهب للسوق إلا من له حاجة .
- ٨ - تطيب النساء عند النزول للسوق مخالفة للشرع .
- ٩ - غض البصر فريضة شرعية .
- ١٠ - الحذر من الممارسات المخلَّة بالحياء والحشمة؛ كتماسك الزوجين بأيديهما، أو التمايل والاتصاق بعضهما، ونحوه .

آداب دخول المشافي :

- ينبغي لمن احتاج الذهاب للمشافي للعلاج أو الزيارة مراعاة ما يلي :
- ١ - يلزم جلوس الرجال مع الرجال والنساء مع النساء في صالات الانتظار .
- ٢ - لا يكشف المسلم عورته إلا للضرورة القصوى وبقدر الحاجة .
- ٣ - لا ينبغي دخول الرجال لعيادة الطبيب إلا للحاجة الملحة، وكذلك دخول المرأة لعيادات الأطباء .
- ٤ - الإطالة عند زيارة المريض فعل مذموم، وكان السلف يُقدِّرون الزيارة بمقدار جلوس الخطيب بين الخطبتين يوم الجمعة .
- ٥ - لا تزج المراجعين في أماكن الانتظار بحديث أو مكالمة بصوت عال .
- ٦ - الحذر من الخلوة بالمرأة الأجنبية في المصاعد والغرف ونحوها .
- ٧ - لا تُجلس أطفالك على المقاعد والكبار وقوف .
- ٨ - الجلوس بحشمة وأدب عنوان رقي الأخلاق فلا يليق مدُّ القدم أمام الناس أو وضع الرجل على الأخرى وهي تشير إلى أحد الجلوس .

- ٩ - تأكد من إغلاق باب العيادة بعد الدخول كي لا يطلع أحدٌ على أمرٍ يسوؤك اطلاعهم عليه .
- ١٠ - إنكار النساء على الرجال الذين يدخلون العيادات أو غرف التنويم الخاصة بهن أمانة عفتهن .
- ١١ - الجلوس متوسطًا كرسيين يحرم غيرك الجلوس .

آداب ركوب الطائرة:

- إذا احتاج المسلم للسفر وركوب الطائرات فليكن ملتزمًا بالآداب الآتية:
- ١ - اجلس في مقعدك المخصص لك، وإذا أردت تغييره فاستأذن الطاقم المسؤول عن ذلك .
- ٢ - لا تجلس بجوار من ليست لك بمحرم إلا إذا غلبك الأمر ولم تستطع تغيير المقعد .
- ٣ - الإصغاء لتعليمات الملاحين وتنفيذها دليل على وعي المسافر واحترامه للنظام .
- ٤ - الحياء والحشمة في اللباس والتصرفات أمانة على مستوى ثقافة الإنسان .
- ٥ - الحديث بين الرجال وطاقم الطائرة من النساء يكون متزنًا وبقدر الحاجة .
- ٦ - الترفع عن بعض الممارسات غير اللائقة كالمزاح ورفع الصوت .
- ٧ - إظهار المرأة للزينة من اللباس والحلي، أو الطيب أمر محرم شرعًا .
- ٨ - كثرة القيام والحركة في الطائرة لغير حاجة أمر غير محبب .
- ٩ - الوقوف في ممرات الطائرة حال نزولها وقبل فتح الأبواب، والتزاحم حال الصعود أو النزول غير لائق .
- ١٠ - كلما كان جلوس النساء في المقاعد الداخلية والرجال على الممرات كان أفضل .

- ١١ - التريُّث عند النزول من الطائرة حتى تخفَّ الزحام أفضل، خاصة لمن كان معه عوائل وأطفال.
- ١٢ - الأولى بالجلوس على المقاعد في سيارات النقل في المطارات كبار السن والنساء.

آداب الاتصال:

يحتاج المسلم لاستعمال وسائل الاتصال الحديثة فينبغي له مراعاة الآداب الإسلامية الآتية:

- ١ - اختيار الوقت المناسب للاتصال حتى لا تؤذي الآخرين.
- ٢ - تكرار الاتصال مباشرة في حالة عدم الرد غير مناسب.
- ٣ - البدء بالسلام من قبل المتصل وردُّ السلام من المتصل عليه، وختم المكالمة بالسلام أيضًا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَنْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ، فَلْيُسَلِّمْ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ، فَلْيُسَلِّمْ فَلْيَسْتِ الْأُولَى بِأَحَقِّ مِنَ الْآخِرَةِ»^(١).
- ٤ - خفض الصوت عند الحديث بشرط أن يكون مسموعًا.
- ٥ - عدم استعمال الموسيقى في النغمات أو شغل وقت الانتظار.
- ٦ - الاقتصاد في المكالمة فليس في الإكثار فائدة.
- ٧ - لا ينبغي إحراج المتصل عليه بامتحانه بقوله: هل تعرفني؟ فإذا قال: لا، يلام ويعاتب على نسيانه وعدم حفظه لرقم الهاتف... إلخ.
- ٨ - إذا لم يردَّ المتصل عليه فالتمس له عذرًا فقد يكون مريضًا، أو في مكان لا يناسب للحديث؛ كأن يكون في مسجد، أو مقبرة، أو بين أناس لا يودُّ أن يقطع حديثهم ونحو ذلك؛ فإذا لم يرد، أو رد ردًّا مقتضبًا، أو كانت الحفاوة أقل من المعتاد فابسط له العذر، ولا تسيء به الظن.

(١) أخرجه أبو داود برقم (٥٢٠٨)، وقال الألباني: حسن صحيح.

- ٩ - إغلاق الجوال أو وضعه على الصامت عند دخول المساجد وقاعات الدروس . . . ونحوها .
- ١٠ - إنَّ استعمال الهاتف في المساجد، ومجالس أهل العلم والأكابر، واجتماعات العمل ونحوها فعل غير مناسب .
- ١١ - تسجيل المكالمات، أو وضع الهاتف على مكبر الصوت بحضرة الآخرين لا ينبغي إلا بعد استئذان الطرف الآخر في المكالمة .
- ١٢ - النظر في جوالات الآخرين واستعراض الرسائل دون رضاهم سوء أدب؛ لما في ذلك من التطفل وكشف الستر، وهو ضرب من ضروب الخيانة .
- ١٣ - المبادرة إلى الإنكار بالرفق واللين على من أرسل رسالة لا تليق .
- ١٤ - لا يجوز استعمال الهاتف للإضرار بالناس وترويعهم .

آداب استخدام الشبكة العالمية (الإنترنت):

- إنَّ من أهم آداب وأخلاق استخدام الشبكة العالمية ما يلي:
- ١ - حدد هدفك من الدخول إلى الشبكة تجنباً لهدر الوقت فيما لا فائدة فيه .
- ٢ - احترم المستخدمين للشبكة فلا تسخر من آرائهم، ولا تسيء الأدب وتفحش القول لهم، فإن رأيت أو سمعت خطأ فرداً بأدب مع بيان الحجة والدليل .
- ٣ - لا تفعل ما يضر بالآخرين بما يسمى (Hackers)، ففي الحديث أنَّ النبي ﷺ قال: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»^(١) .
- ٤ - ركِّز عباراتك عند طرح أفكارك بعبارات سليمة واضحة، وتجنب التطويل والتكرار؛ لأنه يؤدي إلى الملل .
- ٥ - كل ما تكتبه أو تشارك فيه يعبر عن شخصيتك واهتماماتك، فكن قدوة في معالي الأمور ودع سفاسفها .

(١) أخرجه البخاري برقم (٩٩)، ومسلم برقم (٤١) .

- ٦ - الإنترنت وإن كان عالمًا افتراضيًا إلا أنه لا يُسوّغ ترك الأحكام الشرعية وارتكاب المحرمات .
- ٧ - يجب احترام الخصوصيات وعدم اختراقها .
- ٨ - الحذر من دخول المواقع المشبوهة وخاصة المخالفة للدين والأخلاق، فإنها سرعان ما تؤثر في مرتاديهـا .
- ٩ - احترم الحقوق الفكرية لما يُطرح في الشبكة من المواد، فإن استفدت من شيء منها فانسبه لصاحبه .
- ١٠ - لا تنقل أو تعيد إرسال كل ما يرد إليك؛ فالمسلم كيّس فطن، ولكن انظر فيها فإن وجدتها لا تخالف الدين والأخلاق وليس فيها إساءة لأحد فانشرها وإلا فاطرحها .
- ١١ - لا ترسل ولا تتبادل الصور عبر البريد أو المواقع والمنتديات ووسائل التواصل الاجتماعي إلا أن تكون محتشمة؛ لأنها قد تُستعمل وسيلة لابتزاز أصحابها .

آداب قيادة السيارة:

- ينبغي عند قيادة السيارة مراعاة الآداب الآتية:
- ١ - عند قيادتك للسيارة عامل الناس بمثل ما تحبُّ أن يعاملوك به .
- ٢ - لا تنحرف من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار مباشرة؛ بل بالتدرّج حتى لا تؤذي الآخرين .
- ٣ - رمي النفايات من نوافذ السيارة من سوء الأدب .
- ٤ - استعمل الإشارات الضوئية لتكشف للآخرين الاتجاه الذي تريده .
- ٥ - احترام المشاة على الطريق والحرص على عدم إيذائهم أو ترويعهم خلق عالي .
- ٦ - عند إرادة تغيير الاتجاه أو الدخول إلى طريق رئيسي انظر إلى الاتجاهين لتدخل بأمان .

- ٧ - أخلاق السائقين الحقيقية تظهر عند الاختناقات المرورية.
- ٨ - لا تستعمل المنبه إلا عند الحاجة القصوى، وليكن استعمالاً مؤدباً.
- ٩ - اترك مسافة بينك وبين السيارة التي أمامك تحسباً لأي طارئ.
- ١٠ - اجعل سيرك في أقصى يمين الطريق لتترك فرصة لمن يريد التجاوز.
- ١١ - احترام الإشارات الضوئية، واحترام أولوية المرور في الطرقات دليل على سمو الأخلاق.



الوحدة السادسة

أخلاق المهنة، وطرق اكتساب الأخلاق

تعريف المهنة:

المهنة في اللغة: الحذق بالخدمة والعمل. وفي نطقها أربع لغات صحيحة: المَهْنَةُ والمِهْنَةُ والمَهْنَةُ والمَهْنَةُ^(١).

وفي الاصطلاح: كل عمل مباح يُعمل فيه لأجل الكسب أو خدمة الناس.

والمهن تتعدد وتتنوع بحسب حاجة المجتمعات في كل زمان، فمنها: المهن الدينية: كالقضاء، والحسبة، والإفتاء. والعلمية، والصناعية، والإدارية، والتربوية...

والعمل بالمهن سُنَّة من سنن الأنبياء ﷺ، قال محمد بن الحسن الشيباني **رحمته الله**: في الآثار أن آدم ﷺ لما هبط إلى الأرض أتاه جبرائيل ﷺ بالحنطة وأمره بأن يزرعها، فزرعها وسقاها وحصدها وداسها وطحنها وخبزها، وكذا نوح ﷺ كان نجاراً يأكل من كسبه، وإدريس ﷺ كان خياطاً، وإبراهيم ﷺ كان بزازاً - أي: بائع ثياب - وداود ﷺ كان يأكل من كسبه من صنعه الدروع، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُؤْسٍ لَكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠]، فكان يصنع الدرع ويبيعه باثني عشر ألفاً، فكان يأكل من ذلك ويتصدق، وسليمان ﷺ كان يصنع المكاتل من الخوص، وزكريا ﷺ كان نجاراً، ونبيينا ﷺ كان يرعى الغنم قبل مبعثه، وشارك رجلاً من أهل مكة في تجارة الأدم^(٢).

(١) ينظر: لسان العرب (١٣/٤٢٤).

(٢) ينظر: الكسب (ص ٣٥، ٣٦) بتصرف.

وقد جعل النبي ﷺ السعي وطلب الرزق من السعي في سبيل الله تعالى، فقد روى كعب بن عجرة رضي الله عنه أن رجلاً مرَّ على النبي ﷺ فرأى أصحاب النبي ﷺ من جلده ونشاطه ما أعجبهم، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله؟! فقال رسول الله ﷺ: «إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبْوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يَعْطُهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وَتَفَاخُرًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ»^(١).

تعريف أخلاق المهنة:

هي مجموعة الأخلاق والقيم اللازمة لمن يقوم بالمهن.

وتنقسم أخلاق المهنة إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أخلاق في ذات القائم بالمهنة.

الثاني: أخلاق مع المستفيدين من المهنة.

الثالث: أخلاق مع زملاء المهنة.

وسأذكر أبرز هذه الأخلاق من غير تمييز بينها:

١ - استحضر النية الصالحة: وهي اكتساب رضا الله تعالى؛ فالنية الصالحة إذا اقترنت بأي عمل طيب صيرته عبادة لله تعالى، جاء في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَّ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»^(٢).

(١) سبق تخريجه.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٩١)، ومسلم برقم (١٣١).

فالمعلم والطبيب والقاضي والشرطي ينوون جميعاً طلب مرضاة الله تعالى بقيامهم بأعمالهم الوظيفية فيؤجرون عليها .

٢ - استمرار التعلم: كل وظيفة لها علومها ومهاراتها، وحتى يكون الموظف قائماً بها على وجهها الأتم الأكمل لا بد من متابعة كل جديد يتعلق بها .

٣ - تهذيب النفس: ويكون هذا بالتخلق بأخلاق الإسلام أولاً ثم بأخلاق المهنة التي يعمل بها من الأدب، واحترام الناس، وحسن المظهر، وطيب الكلام... إلخ .

٤ - القناعة: فإن قناعة الإنسان بما كتبه الله له من هذه المهن يدفعه إلى مزيد من التمكن فيها والقيام بحقها بروح متفائلة ونفس راضية وقلب مطمئن، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرَزَقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ»^(١) .

٥ - الورع والبعد عن الشبهات: كل مهنة تُدرُّ على صاحبها دخلاً مادياً هو من رزق الله له؛ فبالورع يأخذ المسلم ما أحلَّ الله له من المال ويترك ما خالطته شبهة الحرام، ويحذر من الاغترار بكثرة المال فيأخذ ما لا يحل له، فيكون بذلك قد أدخل على نفسه كسباً حراماً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ، أَمِنَ الْحَلَالَ أَمْ مِنَ الْحَرَامِ»^(٢) .

٦ - الحذر من الكذب والخيانة عند أداء المهنة: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ، فَإِنَّهُ بِسَرِّ الضَّجِيعِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ، فَإِنَّهَا بِسَرِّ الْبُطَانَةِ»^(٣) .

٧ - الحرص على نفع الناس من خلال مهنته: فعن جابر رضي الله عنه قال: قال

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠٥٤) .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٠٥٩) .

(٣) أخرجه أبو داود برقم (١٥٤٧)، وحسنه الألباني .

رسول الله ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ»^(١).

٨ - الحذر من العُجب والكبر: العجب تكبر الباطن الذي يورث الكبر في الظاهر، وإنَّ النفس ضعيفة فمتى وجدت أنها تميزت عن غيرها أُعجبت بما آتاها الله من فضله فتعالَت وتكبرت على الناس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حَلَّةٍ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٢).

٩ - إتقان العمل على الوجه الأكمل حسب المستطاع: فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقِنَهُ»^(٣).

١٠ - حفظ الأسرار: قد يطلع الإنسان في عمله على أسرار الناس وخاصة أمورهم فيجب أن يكون كتومًا حافظًا لما اطلع عليه منه ولا يظهره لأحد؛ لأنَّ ذلك من الأمانة، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِالْحَدِيثِ ثُمَّ التفتَ فِيهَا أمانةً»^(٤).

١١ - القوة والأمانة: قال الله تعالى على لسان ابنة صاحب مدين عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَتْ إِحَدُهُمَا يَتَأْتِيَ اسْتَعْجِرُهُ إِيَّاكَ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَعْجَرَتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]. القوة: القدرة على القيام بالمهنة، والأمانة في أدائها على وجهها.

١٢ - التعاون مع زملاء العمل لإنجاح المهنة وانتفاع المستفيدين: قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

طرق اكتساب الأخلاق

إنَّ كل من أُعجب بشيء سعى لتحصيله، فمن أدرك أهمية الأخلاق الحسنة في نيل مرضات الله ودخول جنته، وما يتبع ذلك من قبول الناس

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٥٧٨٧)، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٧٨٩).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٨٩٧)، وصححه الألباني.

(٤) أخرجه أبو داود برقم (٤٨٦٨)، وحسنه الألباني.

لشخصه وحببهم له لزمه السعي لاكتساب كل خلق حميد والتخلص من كل خلق ذميم، وهنا بعض الوسائل والطرق التي تعين الإنسان على اكتساب ما تصبو إليه نفسه من الأخلاق الحسنة:

الأول: تقوية الجانب الإيماني:

إنَّ تقوية الإنسان للجانب الديني في قلبه أشد الأسباب الدافعة إلى تهذيب نفسه وإكسابها الفضائل، وذلك للارتباط بين الأخلاق ومستوى الإيمان في القلب، قال النبي ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»^(١).

ومما يزيد الإيمان في القلب القيام بأداء العبادات المشروعة؛ فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾^(٤٥) [العنكبوت: ٤٥]، والزكاة تطهر النفس من البخل والشح ومساوئ الأخلاق ورذائل الطباع: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١٠٣) [التوبة: ١٠٣]، والصيام يمنع صاحبه من الزور في الأقوال والأفعال: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ، وَالْعَمَلَ بِهِ، وَالْجَهْلَ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»^(٢). وهكذا نجد سائر العبادات لها أثر كبير في تهذيب أخلاق المؤمن، وهو باب يطول بيانه لكنه واضح لكل من عرف مقاصد العبادات في الشريعة الإسلامية.

الثاني: التدريب وترويض النفس على الأخلاق الحسنة:

النفس كالفرس الجموح لا تكاد تطيع صاحبها، ولا يزال بها ترويضاً وتعويذاً حتى تكون أطوع شيء في يده، ولهذا ثبت في الحديث: «مَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ»^(٣)؛ فرتب بمن

(١) المصدر نفسه برقم (٤٦٨٢). وقال الألباني: حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٠٥٧).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٤٦٩)، ومسلم برقم (١٠٥٣).

الشرطية حصول العفة والغنى والصبر على أفعال يقوم بها العبد، فإذا حقق الشرط وقع المشروط .

وقد ذكر النبي ﷺ أن مجاهدة العبد لنفسه وإلزامها بالخلق الحسن تُبوّؤه المنازل الرفيعة عند الله، وضدها يبعده، فقال: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا»^(١) .

قال ابن حجر رحمته الله: «في هذه الزيادة - قوله: «ويتحرى» - إشارة إلى أن من توى الكذب بالقصد الصحيح إلى الصدق صار له الصدق سجية حتى يستحق الوصف به، وكذلك عكسه»^(٢) .

وقال الميداني رحمته الله: ضرب الرسول ﷺ مثلاً دلّ فيه على أن التدريب العملي ولو مع التكلف يكسب العادة الخُلُقِيَّة، حتى يصير الإنسان معطاء غير بخيل، ولو لم يكن كذلك أول الأمر. روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ تُدْيِهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فَلَا يُنْفِقُ إِلَّا سَبَعَتْ أَوْ وَفَرَتْ عَلَى جِلْدِهِ، حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ وَتَعْمُوَ أَثَرُهُ، وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَلَا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوسِعُهَا وَلَا تَسْبَعُ»^(٣) .

فدل هذا الحديث على أن المنفق والبخيل كانا في أول الأمر متساويين في مقدار الدرعين، أمّا المنفق فقد ربت درعه بالإنفاق حتى غطت جسمه كله، بخلاف البخيل الذي لم يدرّب نفسه على الإنفاق، فإنّ نفسه تكرر، والله يضيق عليه من وراء ذلك، فيكون البخل خُلُقًا متمكنًا من نفسه مسيطرًا عليها .

(١) سبق تخريجه .

(٢) فتح الباري (١٧/٢٦٨) .

(٣) أخرجه البخاري برقم (١٤٤٣) .

ولكن من الملاحظ أنه قد يبدأ التخلق بخلق ما عملاً شاقاً على النفس إذا لم يكن في أصل طبيعتها الفطرية، ولكنه بتدريب النفس عليه، وبالتمرس والمران، يصبح سجية ثابتة، يندفع الإنسان إلى ممارسة ظواهرها اندفاعاً ذاتياً، دون أن يجد أية مشقة أو معارضة أو عقبة من داخل نفسه، ولئن وجد شيئاً من ذلك فإن دافع الخلق المكتسب يظل هو الدافع الأغلب، بشرط أن يكون التخلق قد تحوّل فعلاً إلى خلق مكتسب^(١).

وإن ترويض النفوس على الصفات الحسنة نوع من المجاهدة المطلوبة شرعاً، والتي لا بد أن ينجح من بذل جهده فيها تحقيقاً لوعده الله له بذلك، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وإن بذل الإنسان جهده لاكتساب أمر من الأمور المشروعة يحولها إلى عادة مع طول المجاهدة والصبر، لما روى معاوية رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «الْخَيْرُ عَادَةٌ»^(٢).

قال أبو حامد الغزالي رحمته الله: «اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة، وأعني به: حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب؛ فمن أراد مثلاً أن يُحصّل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجواد، وهو بذل المال، فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه تكلفاً مجاهداً نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعاً له ويتيسر عليه، فيصير به جواداً، وكذا من أراد أن يُحصّل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهداً نفسه ومتكلفاً إلى أن يصير ذلك خلقاً له وطبعاً، فيتيسر عليه.

وجميع الأخلاق المحمودة شرعاً تحصل بهذا الطريق، وغايته أن يصير الفعل الصادر منه لذيذاً، فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال الذي يبذله دون الذي يبذله عن كراهة، والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع، ولن ترسخ

(١) ينظر: الأخلاق الإسلامية (٢٠٩/١، ٢١٠) بتصرف يسير.

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم (٢٢١)، وحسنه الألباني.

الأخلاق الدينية في النفس ما لم تتعود النفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الأفعال السيئة، وما لم تواظب عليه مواظبة من يشتاقي إلى الأفعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها»^(١).

الثالث: التأمل في الآثار الطيبة لحسن الخلق:

لقد ثبت في الشرع نصوص كثيرة تبين آثار الأخلاق الحميدة على الإنسان في الدنيا وفي الآخرة، ففي الدنيا: أنها تعمر الديار، وتزيد في أعمار أصحابها. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «صِلَةُ الرَّحِمِ، وَحَسْنُ الْخُلُقِ، وَحَسْنُ الْجَوَارِ، يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ»^(٢).

وأما في الآخرة: فهي أثقل ما يقع في ميزان العبد، فقد روى أبو الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أثْقَلُ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُلُقٌ حَسَنٌ»^(٣). وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أَنَا زَعِيمٌ بَبَيْتٍ فِي رَبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَارِحًا، وَبَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقُهُ»^(٤).

وقد أخبر النبي ﷺ بمنزلة أهل الأخلاق منه في الآخرة قريباً وبعيداً فقال: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الشَّرَّارُونَ»^(٥) وَالْمُتَشَدِّقُونَ^(٦) وَالْمُتَفِيهِقُونَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا الشَّرَّارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا

(١) إحياء علوم الدين (٣/٥٨).

(٢) أخرجه أحمد في المسند بإسناد صحيح برقم (٢٥٢٥٩).

(٣) المصدر نفسه بإسناد صحيح برقم (٢٧٥٥٥).

(٤) أخرجه أبو داود برقم (٤٨٠٠) وحسنه الألباني.

(٥) الشرارون: الذين يكثرون الكلام ويرددونه. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص١٢١).

(٦) المتشددون: هم الذين يتوسعون في الكلام ويفتخرون به أفواههم. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ص٤٧٠).

الْمُتَمَيِّهُونَ؟ قَالَ: «الْمُتَكَبِّرُونَ»^(١).

الرابع: مخالطة أهل الفضل والخلق الحسن:

معلوم أن الإنسان مجبول على مخالطة الناس من حوله، وهو مؤثر فيهم متأثر بهم لا ريب، فمتى اختار لنفسه صحبة صالحة من أهل الفضل اكتسب من خلقهم ودلهم الحسن، وهذا معلوم مشاهد في الواقع، فالذي ينشأ في مجتمع كريم يكون في الغالب كريماً، ومن عاش مع أهل الشجاعة والقوة صار شجاعاً قوياً مثلهم، ومن خالط أهل العلم حصّل من علومهم وانتفع بأقوالهم وأفعالهم... وهكذا. قال أبو حاتم البستي **كَتَبْتُ**: «العاقل يلزم صحبة الأخيار ويفارق صحبة الأشرار؛ لأنّ مودة الأخيار سريع اتصالها بطيء انقطاعها، ومودة الأشرار سريع انقطاعها بطيء اتصالها، وصحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار، ومن خادن - أي: صاحب - الأشرار لم يسلم من الدخول في جملتهم. فالواجب على العاقل أن يجتنب أهل الريب لئلا يكون مريباً، فكما أنّ صحبة الأخيار تورث الخير كذلك صحبة الأشرار تورث الشر»^(٢).

عليك بإخوان الثقات فإنهم قليل فصِلْهم دون من كنت تصحب
ونفسك أكرمها وصنّها فإنّها متى ما تجالس سَفِلةَ الناس تعطب

الخامس: قراءة كتب الأخلاق والسير:

لقد توالى رتب أهل الفضل من المسلمين؛ فأكرمهم وأعظمهم منزلة وأكثرهم اتصافاً بما أنزل إليهم من ربهم بعد النبي **ﷺ** الصحابة الكرام **رضي الله عنهم**، ثم التابعون، ثم من تابعهم واقتدى بهم على مرّ العصور... لذا كان كل جيل منهم قدوة لمن جاء بعده من الأجيال، فإذا اطلع اللاحق على ما كان للسابق من طيب أخلاق وكريم سجايا وحسن معاشرة سمّت نفسه للاقتداء بهم والتشبه بفعالهم.

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٠١٨)، وصححه الألباني.

(٢) روضة العقلاء (ص ١٠٠).

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إنَّ التشبه بالكرام فلاح وإنَّ السبيل لمعرفة ما كانوا عليه من الفضل هو الاطلاع على سيرهم، وقراءة مآثرهم وكتبهم وما نقله أهل العلم عنهم، فلقد كان هذا منهج علماء السلف رضي الله عنهم، قال شقيق البلخي رحمته الله: قيل لعبد الله بن المبارك رحمته الله: إذا أنت صليت لِمَ لا تجلس معنا؟ قال: أجلس مع الصحابة والتابعين، أنظر في كتبهم وآثارهم ^(١).

وإنَّ مطالعة المسلم لسير من سبقه من الأنبياء والصحابة والتابعين والعلماء والأدباء والقادة والحكام يُكسبه أخلاقاً حسنة، إذ يطلع على الحسن فيقتدي به والسيئ فيجتنبه؛ فيكون بذلك مهذباً لأخلاقه مؤدباً لنفسه، قال ابن الجوزي رحمته الله: «عليكم بملاحظة سير السلف ومطالعة تصانيفهم وأخبارهم، والاستكثار من مطالعة كتبهم رؤية لهم» ^(٢). وقال أيضاً: «إنما يتقوم الإنسان بالرياضة - يعني: تعويد النفس وتدريبها - ومطالعة سير السلف، وأكثر القوم في بُعد عن هذا، وليس عندهم إلا ما يعين الطبع على شموخه؛ فحينئذ يسرح الهوى بلا زاد» ^(٣).

وحتى تتضح أهمية هذا فلنقرأ أنموذجاً مما خطته يد أبي حامد الغزالي رحمته الله في بيان بعض الآداب والأخلاق التي ينبغي للمسلم الاتصاف بها حيث قال: إن أردت حسن العشرة فالتق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم، وتوقير من غير كبر، وتواضع من غير مذلة، وكن في جميع أمورك في أوسطها، فكلا طرفي قصد الأمور ذميم.

وتحفظ من تشبيك أصابعك، والعبث بلحيتك وخاتمك، وتخليل أسنانك، وإدخال أصبعك في أنفك، وكثرة بصاقتك وتنخمك، وكثرة الثأوب في وجوه الناس وفي الصلاة وغيرهما.

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٩٨/٨).

(٢) صيد الخاطر (ص ٤٤٠).

(٣) تليس إبليس (ص ١٥٠).

وليكن مجلسك هاديًا، وحديثك منظومًا مرتبًا، واصنع إلى الكلام الحسن ممن حدثك من غير إظهار تعجب مفرط، ولا تسأله إعادته.

ولا تتصنع تصنع المرأة في التزين، ولا تتبذل تبذل العبد، وتوقَّ كثرة الكحل والإسراف في الدهن، ولا تلح في الحاجات، ولا تشجع أحدًا على الظلم.

ولنْ لأهلك من غير ضعف، وإذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك وتفكر في حجتك ولا تكثر الإشارة بيدك ولا تكثر الالتفات إلى من وراءك، ولا تجعل مالك أكرم من عرضك.

وإذا دخلت مجلسًا فالأدب فيه البداية بالتسليم، وترك التخطي لمن سبق، والجلوس حيث اتسع وحيث يكون أقرب إلى التواضع، وأن تحيي بالسلام من قرب منك عند الجلوس.

ولا تجلس على الطريق، فإن جلست فأدبه: غض البصر، ونصرة المظلوم، وإغاثة الملهوف، وعون الضعيف، وإرشاد الضال، وردُّ السلام، وإعطاء السائل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وإياك أن تمازح لبيبًا أو غير لبيب؛ فإنَّ اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترىء عليك؛ لأنَّ المزاح يخرق الهيئة ويسقط ماء الوجه، ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الود، ويشين فقه الفقيه ويجرىء السفيه، ويسقط المنزلة عند الحكيم، وهو يमित القلب، ويباعد عن الرب تعالى، ويكسب الغفلة، ويورث الذلة، وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر، وبه تكثر العيوب وتبين الذنوب.

ومن بُلِّي في مجلس بمزاح أو لغط فليذكر الله عند قيامه، قال النبي ﷺ: «مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا عُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ» (١)(٢).

(١) أخرجه الترمذي برقم (٣٤٣٣)، وصححه الألباني.

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين (١٩٢/٢، ١٩٣) بتصرف يسير.

وصدق من قال مادحًا الكتب التي تروي الأخبار وتذكر الوقائع والأحداث:

لنا جلساء ما نملُّ حديثهم
يُفيدوننا من علمهم علم ما مضى
بلا فتنة تخشى ولا سوء عشرة
فإن قلت: أموات، فلا أنت كاذب
ألباء مأمونون غيبًا ومشهدا
وعقلًا وتأديبًا ورأيًا مسددا
ولا يتقى منهم لسانًا ولا يدا
وإن قلت: أحياء فلست مفندا



الوحدة السابعة

الشخصية الإسلامية

يصوغ الإسلام بما جاء به من عقائد وشرائع وأخلاق شخصية أتباعه صياغة خاصة تميزها عن جميع أتباع الملل الأخرى^(١)، وفيما يلي سأذكر أبرز ما يريده الإسلام من أتباعه، وهي على النحو الآتي:

الشخصية الإسلامية مع ربّها:

المسلم مطيع لله تعالى، يشعر بمسؤوليته التي خلقه الله لأجلها، يعمل بمراد الله وفق شريعته، وهو مع هذا راضٍ بقضائه وقدره لا يجزع ولا يتسخط، ويقوم الصلوات المفروضة عليه في المسجد ويصلي السنن الرواتب ويقوم الليل ويحافظ على الوتر، ويخرج زكاة أمواله، ويصوم رمضان وما تيسر له من الأيام الفاضلة كثلاثة أيام من الشهر والاثنين والخميس ويوم عرفة ويوم عاشوراء، ويبادر إلى حج بيت الله وزيارة مسجد النبي ﷺ كلما تيسر له ذلك. المرأة المسلمة مع هذا ملتزمة بالحجاب الشرعي، لا تخلو بأجنبي ولا تخالط الرجال، ولا تسافر إلا مع ذي محرم..

وكلاهما قائم بالعبودية لله تعالى، أمر بالمعروف ملتزم به، وناه عن المنكر مجتنب له، يكثران من تلاوة القرآن ويحافظان على الأذكار والأوراد.

الشخصية الإسلامية مع نفسها:

المسلم نظيف في جسمه، معتدل في طعامه وشرايه، حسن المظهر

(١) من أجمل ما كتبت عن الشخصية الإسلامية كتابان للدكتور محمد علي الهاشمي هما: شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، وشخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، وقد ترجمتا إلى عدة لغات عالمية ولقيا قبولاً واسعاً.

والهيئة، نظيف الثياب، حريص على سلامة عقله وفكره من الانحرافات والمخالفات، يتعلم ما ينفعه في دنياه وفي آخرته، ويترك ما فيه ضرر عليه. ويحرص على انتقاء الأصدقاء والأصحاب ممن يزداد بعلاقته قريبًا من الله وصلاحًا واستقامة في سلوكه وأخلاقه، ويحذر من كل ما يؤثر عليه سواء في بدنه أو عقله أو أخلاقه.

الشخصية الإسلامية مع الآخرين:

المسلم مع والديه رحيم رقيق مؤدب مطيع مضح متفانٍ في خدمتهما وإرضائهما، يقدم رضاهما وبرهما على رضا وبر كل أحد من الخلق، ويطيعهما في غير معصية الله ﷻ.

ومع إخوته وأخواته مؤدبًا محترمًا لهم، يوقر الكبير ويحترم الصغير، ويعين المحتاج ويقضي الحوائج، ويدافع عن الضعيف رجاء الثواب من الله تعالى.

ومع أقاربه ووصولًا ودودًا، يتفقد حوائجهم ويعطي فقيرهم، ويقف مع محتاجهم، يسعى لصلاحهم بكل ما يملك من وسع.

ومع سائر الناس يكون محترمًا لهم، يعاملهم بما يحب أن يعاملوه به، يعين المحتاج ويعفو عن المخطئ، ويتجاوز عن زلات إخوانه المسلمين، يوقر الكبير ويحترم الصغير ويعرف لكل واحد منهم قدره وينزله منزلته.

وهو فوق هذا كله صادق اللهجة، حافظًا للسِر، حسن الخلق، طليق الوجه، لا يتدخل فيما لا يعنيه، يحرص على نفع الناس بما يستطيع من مال وعلم وجاه، عفيف اللسان عن أعراضهم، عفيف النفس عن التعدي على حقوقهم المادية أو المعنوية، ليس للحقد في قلبه مكان ولا للحسد والبغضاء منزل، يُعدُّ الكهل منهم أَبًا، والصغير ابنًا، والرجل أخًا.

وهو متأدب بأدب الإسلام، فلا يغتاب أحدًا، ولا ينم، ولا يكذب، ولا يسب ولا يشتم، ولا يطلق نظره في المحرم، ولا يسمح لشهوته أن تقوده وتغطي عقله؛ بل يلجم شهوته بلجام الدين والعقل والمروءة.

أسباب تميز الشخصية المسلمة:

إنَّ في العالم اليوم عشرات الأديان ومئات أو آلاف النحل والمذاهب، وكل منها يصوغ أتباعه صياغة تتناسب مع نظرته للنفس والكون والحياة، والقاسم المشترك بينها جميعاً أنها لا ترفع الإنسان عن مستواه الأرضي، إذ أقصى علم علمته لأتباعها العلم الدنيوي، الذي لا يُجاوز الحياة الدنيا قيد أنملة، قال الله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧]، ومن هنا تظهر الشخصية الإسلامية من بين مخلفات الثقافات الأرضية ناصعة يانعة جذابة؛ لما تميزت به عن سائرهما، ومن أبرز أسباب تميزها:

١ - علو مصدر التلقي:

الشخصية الإسلامية تتلقى أديها وخلقتها من الله تعالى عن طريق الوحي، وكان النبي ﷺ يمثل ما أوحى إليه من آداب وأحكام، قال سعد بن هشام رضي الله عنه: سألت عائشة رضي الله عنها فقالت: يا أم المؤمنين، أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ؟ قالت: أأستقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قالت: فإنَّ خُلُقَ نبي الله ﷺ كان القرآن^(١). وفي رواية: «كان خُلُقُه القرآن»^(٢).

فالمجتمعات لا ترقى بما تنتجه مصانعهم في مجال المادة؛ بل بما تتسم به نفوس الناس فيها من العقائد والقيم والأخلاق، وأكثرها اتصافاً بالإيمان والصدق والعفة والنزاهة.

٢ - الوضوح والصرامة:

إنَّ الإسلام يصبغ أتباعه بصبغة الوضوح، فلا مراوغة ولا مداهنة؛ بل صدق ووضوح في الأقوال والأفعال، قال النبي ﷺ: «الْمَكْرُ وَالْخَدِيعَةُ فِي النَّارِ»^(٣).

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٤٦).

(٢) أخرجه أحمد في المسند برقم (٢٥٣٠٢)، وهو صحيح.

(٣) أخرجه البيهقي في الشعب برقم (٤٨٨٧)، وصححه الألباني.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «تَحِدُّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ ذَا الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هُوَ لَاءٍ بِوَجْهِهِ، وَهُوَ لَاءٍ بِوَجْهِهِ»^(١). قال ابن حجر رحمته الله: «قال القرطبي: إنما كان ذو الوجهين شرَّ الناس لأنَّ حاله حال المنافق، إذ هو متملق بالباطل وبالكذب، مُدْخِلٌ لِلْفَسَادِ بَيْنَ النَّاسِ. وقال النووي: هو الذي يأتي كل طائفة بما يرضيها؛ فيظهر لها أنه منها ومخالف لضدها، وصنيعه نفاق ومحض كذب وخداع وتحيلٌ على الاطلاع على أسرار الطائفتين، وهي مدهانة محرمة. قال: فأما من يقصد بذلك الإصلاح بين الطائفتين فهو محمود»^(٢).

وهذا الوضوح في الشخصية الإسلامية يجعلها مأمونة الجانب، إن أحببت أحدًا أخبرته بالمحبة، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً كان عند النبي ﷺ فمرَّ به رجل، فقال: يا رسول الله، إنِّي لأحب هذا. فقال له النبي ﷺ: «أَعْلَمْتَهُ؟» قال: لا. قال: «أَعْلِمَهُ» قال: فلحقه فقال: إنِّي أحبك في الله. فقال الرجل: أحبك الذي أحببتي له^(٣).

وفي المقابل: إن عادى المسلم أحدًا وحاربه أظهر ذلك بلا مواربة امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُخَافِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

فالمسلم لا تتغير مواقفه وأفكاره وقناعاته بتغير الظروف المحيطة به قوة وضعفًا، عزة ومهانة؛ بل هو ثابت واضح في كل الأحوال؛ لعلمه أن ما يقوم به عبادة لله تعبدًا بها، فهو يقوم بها ويرجو الثواب منه تعالى.

٣ - البشر والتفائل:

إنَّ إيمان العبد بالله تعالى وعلمه بأنَّ له قضاء وقدرًا يجري الكون كله على نسقه، وأنَّ ما يصيب العبد من خير أو شر لا ينجيه منه حرص ولا له في

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٥٨)، ومسلم برقم (٢٥٢٦).

(٢) فتح الباري (١٠/٤٧٥).

(٣) أخرجه أبو داود برقم (٥١٢٥)، وحسنه الألباني.

دفعه طاقة يورثه طمأنينة في قلبه؛ فتظهر على جوارحه سروراً وسعادة، وقد وصف عبد الله بن الحارث الزبيدي رضي الله عنه حال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قط إلا مُتَسِّمًا»^(١).

وكيف يحزن المسلم وهو يعلم أن الخير مآل أمره في كل الأحوال، فعن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «عَجِبْتُ مِنْ أَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَ الْمُؤْمِنِ كُلُّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، كَانَ ذَلِكَ لَهُ خَيْرًا، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ فَصَبَرَ، كَانَ ذَلِكَ لَهُ خَيْرًا»^(٢).

٤ - الشعور بالمسؤولية:

المسلم من بين شعوب العالم يعلم لِمَ خُلِقَ وإلى أين يسير؟ فهو خُلِقَ لعبادة الله تعالى، كما قال الله لأ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٥٦) [الذاريات: ٥٦]، ومن هنا عِلِمَ مسؤوليته في الحياة: عبادة الله، وعمارة الأرض، وتطويع الدنيا لتكون معبراً إلى الدار الآخرة، إذ لا سعادة في دار يفنى شبابها ويزول نعيمها ويتكدر صفوها؛ بل النعيم الدائم والسعادة التي لا شقاء معها، والصحة التي لا مرض فيها في الجنة.

وهذا اليقين يدفع العبد إلى الشعور بمسؤوليته في الحياة، ومن أبرز جوانب المسؤولية:

- ١ - إصلاح ما بينه وبين الله تعالى، وذلك بتقواه في السر والعلن.
 - ٢ - بذل الجهد لإصلاح الكون من حوله؛ ليكون الناس عباداً لله اختياراً كما أنهم عباد له اضطراراً.
 - ٣ - عمارة الأرض وإصلاحها، ومنع كل أنواع الفساد عنها.
- ويندرج تحت هذه الجوانب الثلاثة كل علم نافع وعمل صالح، فيكون المسلم منارة حق وبناء وتقديم وخير للكون كله.

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم (١٧٧١٤)، وهو صحيح.

(٢) المصدر نفسه برقم (١٨٩٣٤)، وهو صحيح.

٥ - الحرص على نفع الآخرين:

المسلم الحق لا يعيش لنفسه فقط، يأكل ويشرب ويلبس ويتمتع؛ بل هو حامل مشعل خير وهداية للكون كله، لا يترك باباً من أبواب الخير إلا ويضرب فيه بسهم طلباً للأجر والثواب من الله تعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كُلُّ سُلَامَى - أي: مفصل - مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الْإِنْتَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»^(١).

وتأمل الحديث الآتي ترى أن الأجر قد رُتِبَ على أعمال يسيرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَأْخُذْ عَنِّي هَوْلَاءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ أَوْ يَعْلَمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ خَمْسًا وَقَالَ: اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحَبِّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيطُ الْقَلْبَ»^(٢).

فهذه جملة من أبواب الخير يؤجر المسلم على فعلها، وهي بحمد الله سهلة لمن أراد الله له الخير ونفع الناس، وقد أمر النبي ﷺ بتقديم النفع للناس ما لم يكن ذاك محرماً، فقال: «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ»^(٣).



(١) سبق تخريجه .

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٣٠٥)، وحسنه الألباني .

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢١٩٩) .

الخاتمة

آمل أن تكون هذه الصفحات مفيدة نافعة لقارئها ودارسها، وأن تكون خالصة لوجه الله تعالى، كما آمل الكتابة لي بما يظهر للإخوة الزملاء أو الطلاب من ملاحظات أو اقتراحات تُسهم في تطوير هذا المقرر...

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه وسلم



فهرس المراجع

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي، ط. بدون، دار المعرفة، بيروت.
- ٣ - الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن الميداني، ط ٥، دار القلم، دمشق، ١٤٢٠هـ.
- ٤ - الأخلاق الفاضلة، أ.د. عبد الله الرحيلي، ط ٢، مطبعة سفير، ١٤٢٩هـ.
- ٥ - الأخلاق والسَّير، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، ت: عادل أبو المعاطي، ط ١، دار المشرق العربي، القاهرة، ١٤٠٨هـ.
- ٦ - إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، ط ٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ٧ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.
- ٨ - إعلم الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، ت: طه عبد الرؤوف سعد، الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٨٨هـ.
- ٩ - إغائة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: محمد حامد الفقي، ط ٢، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ.
- ١٠ - اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ط ٢، مطبعة السُّنة المحمدية، القاهرة، ١٣٦٩هـ.
- ١١ - الأمالي المطلقة، أحمد بن حجر العسقلاني، ت: حمدي السلفي، ط ١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٦هـ.
- ١٢ - بهجة قلوب الأبرار وقررة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ.
- ١٣ - تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

- ١٤ - **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن عاشور، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- ١٥ - **تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى**، محمد عبد الرحمن المباركفوري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ.
- ١٦ - **تسمية المولود**، بكر بن عبد الله أبو زيد، ط٣، دار العاصمة، السعودية، ١٤١٦هـ.
- ١٧ - **تطريز رياض الصالحين**، فيصل بن عبد العزيز المبارك، ت: د. عبد العزيز بن عبد الله آل حمد، دار العاصمة، الرياض، ١٤٢٣هـ.
- ١٨ - **التعريفات**، علي بن محمد بن علي الجرجاني، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ١٩ - **تفسير القرآن العظيم**، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ.
- ٢٠ - **تلبس إبليس**، عبد الرحمن بن الجوزي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ٢١ - **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، أبو عمر بن عبد البر، ت: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.
- ٢٢ - **تهذيب الأخلاق**، منسوب للجاحظ، ط١، دار الصحابة للتراث، طنطا، ١٤١٠هـ.
- ٢٣ - **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد الأزهرى، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
- ٢٤ - **التوقيف على مهمات التعاريف**، محمد عبد الرؤوف المناوي، ت: د. محمد رضوان الداية، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٠هـ.
- ٢٥ - **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- ٢٦ - **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- ٢٧ - **الجامع الصحيح سنن الترمذى**، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذى، ت: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الأحاديث مزيلة بأحكام الألباني عليها.

- ٢٨ - **جامع بيان العلم وفضله**، ابن عبد البر، ت: فواز أحمد زملي، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٤هـ.
- ٢٩ - **الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- ٣٠ - **جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام**، ابن القيم، ت: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، ط٢، دار العروبة، الكويت، ١٤٠٧هـ.
- ٣١ - **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٣٢ - **الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة**، زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١١هـ.
- ٣٣ - **حراسة الفضيلة**، بكر بن عبد الله أبو زيد، ط١١، دار العاصمة، الرياض، ١٤٢٦هـ.
- ٣٤ - **خصائص الشريعة الإسلامية**، د. عمر بن سليمان الأشقر، ط١، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨٢م.
- ٣٥ - **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، الراغب الأصفهاني، ت: أ.د. أبو اليزيد العجمي، ط١، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ.
- ٣٦ - **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، محمد بن حبان البستي، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٧هـ.
- ٣٧ - **الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة**، عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، دار المنهاج، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ٣٨ - **سراج الملوك**، أبو بكر الطرطوشي، ت: محمد فتحي أبو بكر، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤١٤هـ.
- ٣٩ - **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ.
- ٤٠ - **سنن ابن ماجه**، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

- ٤١ - سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، دار الفكر، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، مع الكتاب: تعليقات كمال يوسف الحوت، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.
- ٤٢ - سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، مجموعة محققين بإشراف: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة، بيروت.
- ٤٣ - السيرة النبوية، إسماعيل بن عمر بن كثير، ت: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ.
- ٤٤ - شخصية المرأة المسلمة، د. محمد علي الهاشمي، ط ١١، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٣١هـ.
- ٤٥ - شخصية المسلم، د. محمد علي الهاشمي، ط ١٢، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٣١هـ.
- ٤٦ - شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، ت: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، ط ١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٣هـ.
- ٤٧ - الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ).
- ٤٨ - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان البستي، ت: شعيب الأرنؤوط، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ.
- ٤٩ - صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة، ت: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ.
- ٥٠ - صحيح البخاري، ت: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٥١ - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٥٢ - صيد الخاطر، عبد الرحمن بن الجوزي، ت: حسن المساحي سويدان، ط ١، دار القلم، دمشق، ١٤٢٥هـ.
- ٥٣ - عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ت: زكريا علي يوسف، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٥٤ - العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- ٥٥ - فتح الباري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: محب الدين الخطيب، دار الفكر.

- ٥٦ - **الفقيه والمتفقه**، الخطيب البغدادي، ت: عادل بن يوسف العزازي، ط١، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤١٧هـ.
- ٥٧ - **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، عبد الرؤوف المناوي، ط١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ.
- ٥٨ - **القاموس المحيط**، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٤هـ.
- ٥٩ - **كتاب الكليات**، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، ت: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ.
- ٦٠ - **الكسب**، محمد بن الحسن الشيباني، ت: د. سهيل زكار، الناشر: عبد الهادي حرصوني، دمشق، ١٤٠٠هـ.
- ٦١ - **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري، دار صادر - بيروت، ١٤١٤هـ.
- ٦٢ - **متون طالب العلم**، جمع وترتيب: د. عبد المحسن القاسم، ط٣، طبعة خاصة، ١٤٣٤هـ.
- ٦٣ - **مجموع فتاوى ابن تيمية**، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ.
- ٦٤ - **المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي**، عبد الرحمن ابن سعدي، مركز صالح الثقافي، عنيزة، ١٤١١هـ.
- ٦٥ - **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٣هـ.
- ٦٦ - **المستدرک علی الصحیحین**، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، ت: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.
- ٦٧ - **المسند**، الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ.
- ٦٨ - **المصباح المنير**، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية.
- ٦٩ - **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، ط١، ت: عمر بن محمود، دار ابن القيم، الدمام، ١٤١٠هـ.

- ٧٠ - **معالم التنزيل**، لمحبي السُّنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، ت: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طبية للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ٧١ - **المعجم الأوسط**، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت: طارق بن عوض الله، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.
- ٧٢ - **المعجم الصغير**، سليمان بن أحمد الطبراني، ت: محمد شكور محمود الحاج أمير، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ٧٣ - **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد الطبراني، ت: حمدي السلفي، ط٢، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٤٠٤هـ.
- ٧٤ - **المعجم الوسيط**، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة.
- ٧٥ - **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
- ٧٦ - **المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني**، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ٧٧ - **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٧٨ - **مفردات في غريب القرآن**، الراغب الأصفهاني، ت: صفوان داوودي، ط٣، دار القلم، دمشق، ١٤٢٣هـ.
- ٧٩ - **المفردات في غريب القرآن**، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ١٤١٢هـ.
- ٨٠ - **منهاج السُّنة النبوية**، أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، ط١، ت: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الرياض، ١٤٠٦هـ.
- ٨١ - **منهاج المسلم**، لأبي بكر جابر الجزائري، دار السلام - القاهرة.
- ٨٢ - **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.
- ٨٣ - **موسوعة الأخلاق**، القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية، ط١، الدرر السنية، السعودية، ١٤٣٤هـ.
- ٨٤ - **نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم**، عدد من المختصين بإشراف الشيخ: صالح بن عبد الله بن حميد، ط٤، دار الوسيلة، جدة.

- ٨٥ - **النهاية في غريب الحديث والأثر**، مجد الدين ابن الأثير، ت: علي بن حسن بن عبد الحميد، ط١، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢١هـ.
- ٨٦ - **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، ابن قيم الجوزية، ت: محمد عبد الرحمن عوض، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.



فهرس المحتويات

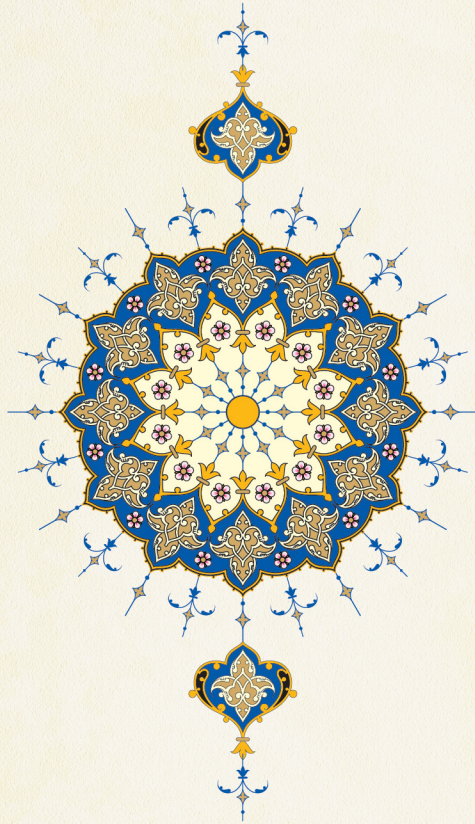
الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
الباب الأول	
التمهيد	
الوحدة الأولى: مدخل للثقافة الإسلامية	٩
الوحدة الثانية: التعريف بالإسلام، خصائصه	٢٣
الباب الثاني	
مكونات الإسلام	
تمهيد	٣٣
القسم الأول: أصول العقيدة الإسلامية	٣٥
القسم الثاني: أصول الأحكام الشرعية الإسلامية	٤٧
القسم الثالث: القيم والأخلاق والآداب الإسلامية	٥٩
الوحدة الأولى: مدخل للقيم والأخلاق والآداب الإسلامية	٦١
الوحدة الثانية: القيم الإسلامية العليا	٦٩
الوحدة الثالثة: الأخلاق الإسلامية	٩٣
الوحدة الرابعة: الآداب الإسلامية العليا	١١٣
الوحدة الخامسة: قواعد في الآداب الإسلامية الاجتماعي	١٢٧
الوحدة السادسة: أخلاق المهنة، وطرق اكتساب الأخلاق	١٣٩
الوحدة السابعة: الشخصية الإسلامية	١٥١
الخاتمة	١٥٧

الصفحة

الموضوع

١٥٩ فهرس المراجع

١٦٧ فهرس المحتويات



9 78-603-03-1346-4